المشرق

حزيران ١٩٣٠

اين ومتى
تُرجمت التوراة اليونانية «السبعينية» ؟

لحضرة الخوري لويس ملحه
احد اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية

ان في امر ترجمة التوراة اليونانيـة الشهيرة «بالسبعينية»، اقوالاً كثيرة متباينة يلقيه الزائد في مجاهل ابحاثها العويصة التي حارت بها عقول العلماء والاقطاب، بدليل انـك لا تكاد تنتهي من مطالعة مؤلف يبحث في شأن هذه الترجمة وتعمد الى تصفح آخر، حتى تعروك الدهشة من التناقض الكائن بين هذين المؤلفين؛ اذ بينا ترى هذا مثلاً يقص عليك حكاية هذه الترجمة على ما رواها اريستاوس في رسالتـه الشهيرة، التي انفذها الى اخيه فيلوكرات، يأتيك ذاك فيفند تلك الرواية بما لديه من الادلة، زاعماً ان تلك حكاية مصنوعة ملفقة لا اثر لها من الصحة. وقد رأينا نحن ان

ننهج السبيل الاوسط في مقالتنا هذه بحيث نأخذ صفوة اقوال اولئك الكتبة، فنعارضها ببعضها ثم نحصل منها ما نراه اقرب الى التصديق ، وفاقاً لما اورده كبار الأئمة ممن وضعوا هذا البحث الخطير على محكّ التمحيص والانتقاد ، واماطوا الستار عن كثير من غوامضه وخفاياه . وبناء عليه قد قسمنا مقالتنا في بادئ الامر الى مطلبين تمهيديين ، فنتكلم في الاول منهما عن زمن هجرة اليهود الى الديار المصرية . ثم نتخطى في المطلب الثاني الى البحث عن تاريخهم في مدينة الاسكندرية ، وعمّا كان من امرهم هناك ، ولاسيما عمّا يتعلق بنسيان لغتهم العبرانية واتخاذهم اللغة اليونانية - المكدونية بدلها . ثم نتطرق الى المطلب الثالث الذي فيه نأتي على تاريخ ترجمة التوراة اليونانية « السبعينية » وما اليها . والله تعالى ولينا فيما نقوله على صفحات هذا « المشرق » المنير .

المطلب الاول

في الزمن الذي حلّ فيه اليهود بالديار المصرية

لقد انبأنا ارميا النبي ، في ف ٤٢ و ٤٣ من سفره الجليل ، بان طائفة من اليهود نزلوا مصر بعد خراب اورشليم بزمن قليل ، وكان هو منهم . ثم عاد وافادنا ، في ف ٤٤ ع ١ ، بان من هؤلاء اليهود من استوطن مصر العليا والنوبة حيث حلّوا بمجدول وتحفنحيس ونوف وارض فتروس[1] . على ان من القوم من ذهب الى ان اليهود جاؤوا مصر قبل ذاك العهد ، اذ قالوا ان حاول اليهود بمصر كان في سنة ٧٣٣ ، اعني بعد افتتاح الاشوريين للسامرة . فاذا صحّ ذلك ، كانت هجرة اليهود اذن الى مصر قبل استحواز نبوكدنصر على اورشليم في سنة ٥٨٧ . وهذا ما يؤيد رأي اريستاوس ، الذي اورد ، في رسالته الشهيرة الى اخيه فيلوكرات ، بان فريقاً من اليهود كانوا في الديار

١) مجدول مدينة قديمة في مصر السفلى لم يعيّن الاثريون موقعها حتى اليوم – وتحفنحيس واقعة في تخوم الدلتا الشرقية ، وهي المشهورة عند سكان مصر الحاليين بتل دفنة – ونوف ، اي ممفيس ، كانت عاصمة مصر في الاعصار السالفة وتعرف في زمننا بالبدرشين – اما ارض فتروس فاسم لمقاطعة في مصر العليا وعاصمتها « ثيبة » الطائرة الشهرة .

المصرية في ايام بساماتيك الثاني ، الذي ملك من سنة ٥٩٤ الى سنة ٥٨٩ قبل المسيح ، ودعم رأيه بقوله انه وجد بين جنود هذا الملك ، عندما شنّ الغارة على الحبش ، فرقة من اليهود . فلا يبعد ، والحالة هذه ، من ان يكون الفرعون نكو سلفه قد ساق هؤلاء اليهود معه الى مصر ، عند عودته من غزوة فلسطين ، بعد ان اقام هناك الياقيم بن يوشيا ملكاً مكان يوشيا ابيه ، وغير اسمه يوياقيم ، واخذ يواحاز واتى به الى مصر فمات هناك ، كما جاء في ملوك ٤ ف ٢٣ ع ٣٤[١] .

ولقد اماطت اللثام اعمال الحفر والتنقيب في جزيرة اليفنتين في أسوان ، مع توالي السنين ، عن عدة مدارج واضابير بردية ارامية يرقى زمن البعض منها الى القرن الخامس قبل الميلاد . ولم يكد يتهافت رهط من العلماء على دراستها وحلّ رموزها حتى تبين لهم ان في سطورها ما يثبت وجود جالية يهودية في تلك الجزيرة يتكلم اهلها اللغة الارامية التي كانت لغة ديوان ملوك الفرس الخنجانيين الذين بسطوا ولايتهم على الديار المصرية في ذلك العهد السحيق . وكان لتلك الجالية هناك هيكل لاقامة شعائرهم الدينية . وجنح العلّامة اوتينغ (Euting) الى ان الملك داريوس الذي ورد اسمه في احد هذه المدارج البردية هو داريوس الثاني الذي توافق السنة الرابعة عشرة لملكه سنة ٤١١ — ٤١٠ قبل المسيح[٢] .

فاذا تمهد ذلك دريت ان دخول طائفة من اليهود الاقطار المصرية ، وظعن جالية كبرى منهم عن ديارهم الى الاسكندرية للاقامة فيها على اثر نشأتها ، ليس من الأمور المستغربة . ناهيك عمن انتظم منهم في سلك جيش الاسكندر وهو في فلسطين يتحفز للزحف على مصر كما قال يوسيفوس[٣] .

* * *

---

١) Lagrange, *Mélanges d'histoire religieuse, page* 7.

٢) اطلب مقالة العلّامة كلرمون غانّو Clermont Ganneau في مجلة الانتقاد *Revue Critique*, 1906 ؛ والمجلد السادس من كتابه *Recueil d'Archéologie Orientale, p.* 23

٣) J. Vandervorst, *Israël et l'Ancien Orient, page* 203

المطلب الثاني

في تاريخ اليهود في الاسكندرية

لا مراء في ان اليهود كانوا يعدون من اقدم سكان الاسكندرية وكان لهم ، على ما قال يوسيفوس[1] ، بمقتضى براءة الاسكندر ما كان لليونان - المكدونيين من الحقوق الوطنية . وبعد وفاة هذا الفاتح العظيم اعترف لهم خلفاؤه البطالسة بهذه الامتيازات ، وعينوا لهم حياً خصوصياً في المدينة ليقيموا فيه ، وهو الحي المعروف يومئذٍ بالدلتا وكان مجاوراً للقصور الملكية[2] كي يتمكنوا من المحافظة على نواميسهم وسننهم باكثر دقة بحيث لا يختلطون مع غيرهم من الاجانب الّا قليلاً ، ورخصوا لهم علاوة على ذلك بان يحملوا لقب «مكدونيين» ، وكان لهم نوع من الاستقلال وحاكم يدبر شؤونهم يسمونه (*Ethnarque*) اي الزعيم الاعظم يعاونه في مهمته مجلس من اعيان الجالية .

ومن المحقق ان بطليموس الاول جعل منهم عدداً لا يستهان به في القلاع والحصون الكائنة في تخوم الدلتا الشرقية .

ولا عبرة بما يدّعيه فريق من الكتبة بان تاريخ اقامة اليهود في الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية لا يتعدى القرن الثاني قبل المسيح ، لانه ما خلا القراطيس البردية التي اثبتت وجود جالية بل جاليات يهودية في مدينة الفيوم ابان القرن الثالث قبل الميلاد ، فان الكتابة التي عثر عليها المنقبون في مدينة شاديا القديمة (*Schedia*)[3] تؤذن بتدشين مجمع اقامه اليهود في تلك المدينة تكريماً لبطليموس الثالث افرجات وبرنيقة زوجته ، فضلاً عن ان المقبرة

١) حرب اليهود ، كتاب ٢ ف ١٨ ع ٧

٢) طالع معجم العاديات اليونانية الرومانية في مادة *Judaei* ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٣

٣) كان موقع مدينة شاديا في الجهة المعروفة اليوم بكوم الجيزة قرب كفر الدوار ؛ والمسافة بينها وبين الاسكندرية نحو خمسة وعشرين كيلومتراً ، وقد شيدت هذه المدينة ، على ما ظهر ، في نفس الزمن الذي شيدت فيه مدينة الاسكندرية . وهناك كانت تنفصل الترعة التي تصل الاسكندرية بالنيل عن الشعبة الكانوبية ، وقد عثر في انقاض تلك المدينة على تقادم تدشينية يرتقي عهدها الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد Bouché - Leclercq, *Histoire des Lagides*, p. 323 et Ev. Breccia, *Juifs et Chrétiens de l'Ancienne Alexandrie* p.6.

اليونانية - اليهودية التي حسرت بقاياها في الاسكندرية والتي يرتقي تاريخها الى عهد بطليموس الثاني الفيلادلفي تثبت بان اليهود كانوا يؤلفون في الاسكندرية كتلة عظيمة في بدء القرن الثالث.

ولما اصبحت اللغة اليونانية - المكدونية مع كرور الايام لغة سكان الاسكندرية قاطبة، طفق السواد الاعظم من اليهود يتعلمونها وينكبون على درس آدابها ويتكلمون بها كسواهم من اهل تلك المدينة، مما ادّى بهم في آخر الامر الى نسيان لغتهم العبرانية كما نسي قبلهم يهود جزيرة اليفنتين تلك اللغة واتخذوا بدلها اللغة الارامية[1]. وعليه فبات اكثر يهود الاسكندرية ان لم نقل كلهم بحاجة الى ان تترجم لهم التوراة من العبرانية الى اليونانية ليتأتى لهم مطالعة الاسفار المقدسة ويفهموا ما يتلى منها عليهم في مجامعهم وهياكلهم كما سترى فيما يلي[2].

المطلب الثالث

في تاريخ ترجمة التوراة السبعينية اليونانية

ان اول من روى حكاية هذه الترجمة هو اريستاوس في رسالته الشهيرة التي وجهها الى اخيه فيلوكرات. وقد لخص يوسيفوس هذه الرسالة في كتابه

١) اطلب صفحة ٩ من كتاب Lagrange, *Mélanges d'histoire religieuse*

٢) ذهب غير واحد من العلماء الى ان اليهود في ذاك العهد لم يكونوا قد اوغلوا في يونانيتهم الى حدّ انهم اصبحوا مضطرين الى ان تترجم لهم التوراة من العبرانية الى اليونانية، وايّدوا قولهم بالحفريات التي اجراها العلامة براتشيا مدير متحف الاسكندرية في المقبرة اليونانية - اليهودية الكائنة بالقرب من محلة الابراهيمية في الاسكندرية التي اشرنا اليها آنفاً، اذ ان القبريات او الرقم المدفنية التي عثر عليها هذا الاثري الكبير على القبور اليهودية هناك هي باللغة الارامية - السريانية، وفي ذلك ما يدعو الى القول بان اللغة الارامية كانت لا تزال شائعة بين يهود الاسكندرية في ذلك الزمن البعيد. بيد ان هذا القول لا ينجم عنه ان يهود الاسكندرية كانوا في ذاك الحين بغنى عن ترجمة التوراة الى اليونانية، لانه وان كان قد بقي قوم منهم في الاسكندرية يعرفون اللغة الارامية التي اتصلت اليهم من اجدادهم الذين تعودوا الكلام بها اثناء الجلاء البابلي، الا ان التوراة لم تترجم الى اللغة الارامية الا بعد الترجمة اليونانية السبعينية بدليل ان بين الترجمة الارامية والترجمة الاسكندرية من المشابهة ما يثبت بان اصحابها كانوا يعتمدون في ترجمتهم على الترجمة السبعينية.

المعروف بالعاديات اليهودية كتاب ١٢ ف ٢ حيث قال :

ان ديمتريوس فالير اشار على بطليموس الفيلادلفي ان يزين المكتبة التي انشأها في الاسكندرية واغناها بالكتب والقراطيس بنسخة من التوراة اليهودية مترجمة من العبرانية الى اليونانية. وذلك انه بعد ان اطلق هذا الملك سراح مائة الف من اليهود ممن كان قد اقتادهم ابوه اسرى الى مصر ، بعث برسالة من قبله مع وفد كان اريستاوس من جملته الى اليعازر كبير كهنة اليهود في اورشليم راغباً اليه ان يوفد اليه مترجمين ماهرين ليترجموا التوراة من العبرانية الى اليونانية. فاختار اليعازر ٧٢ مترجماً ستة ستة من الاثني عشر سبطاً مع ذكر اسمائهم ، وارسلهم الى مصر مع هدايا ونسخة من التوراة مدوّنة بحروف ذهبية. فاستقبل الفيلادلفي هؤلاء الاثنين والسبعين بحفاوة واولم لهم ولائم فاخرة مدة سبعة ايام ، والقى عليهم اسئلة صعبة متنوعة فاجابوا عليها بحكمة اعجبت الملك. ولما انتهت مدة هذه الولائم أُخذ الاثنان والسبعون الى جزيرة فاروس حيث وضعوا في قصر ملوكي[1] ليتموا هناك بالعزلة والانفراد الترجمة المعهودة فكانوا كل يوم يترجمون جزءاً من التوراة ثم يعمدون الى مقابلته بما ترجمه كل منهم ليكونوا جميعاً على وفاق تام من حيث المعنى. وقد انتهت مهمتهم في برهة اثنين وسبعين يوماً[2]. ثم تليت هذه الترجمة امام الملك الذي اندهش من سمو الشريعة اليهودية وامر بايداع هذه الترجمة في خزائن مكتبته . ثم اغدق على المترجمين وعلى كبير كهنتهم بالهدايا الثمينة وصرفهم.

ان أرسطوبولس الذي عاش في منتصف القرن الثاني قبل المسيح قد سلّم بما جاء في رسالة اريستاوس من الامور الجوهرية فيما يتعلق بترجمة التوراة من

١) روى قوم ان اول كنيسة مسيحية شيدت في الاسكندرية كان الساعي في تشييدها تيوناسيوس (Théonas) البطريرك الاسكندري. ولم تلبث هذه الكنيسة ان اصبحت فيما بعد كرسي البطاركة خلفاؤه ، ثم حوّلها المسلمون على ممر الزمان الى جامع اطلق عليه اسم جامع الالف عمود ، وقد كان الموضع الذي بُنيت فوقه تلك الكنيسة هو نفسه الذي اقيم عليه في الاعصار السالفة القصر والمعبد الذي فيه اوعز بطليموس بن لاغوس الى الاثنين والسبعين مترجماً حسب التقليد بترجمة التوراة العبرانية الى اليونانية. اطلب :

Etudes sur l'ancienne Alexandrie par Alex. Max de Zogheb *page* 204.

٢) ومن هنا وجه تسمية هذه الترجمة بالترجمة السبعينية على ما هو مشهور.

العبرانية الى اليونانية ، ونحا نحوه فيلون اليهودي لكنه اغفل اسم كاتب هذه الرسالة. اما التلمود واكليمنضوس الاسكندري والقديسان يوستينوس وايريناوس فقد زعموا بان المترجمين وان كانوا قد عزلوا في حجر منفصلة عن بعضها فقد عبّر كل منهم عن الاصل العبراني بكلام واحد ، الامر الذي حدى بكثيرين من الكتبة الى ان يعتقدوا بان هؤلاء المترجمين قد انزل عليهم الوحي.

غير ان طائفة كبيرة من علماء هذا العصر اجمعوا على ان معظم ما ورد في رسالة اريستاوس لا يجاوز حدّ الاقاصيص الموهومة ، لكن جوهر نصها لا يخلو من صحة وينحصر وجه صحتها على قولهم في ان بطليموس الفيلادلفي هو الذي عني حقيقة بنقل التوراة العبرانية الى اليونانية في مدينة الاسكندرية ، وخاطب اليعازر كبير كهنة اورشليم بامر هذه الترجمة فنال منه بغيته . اما ما قاله أرسطوبولس المتقدم ذكره بان بعض اجزاء من اسفار موسى كان مترجماً الى اليونانية قبل ترجمة الاثنين والسبعين شخصاً فهذا مما لم يسلّم به حتى الآن لما ان غرض أرسطوبولس من قوله هو ان يثبت بان افلاطون قد اقتبس قسماً من فلسفته من اسفار موسى (1)

ومما لا مشاحة فيه ان السواد الاعظم من يهود الاسكندرية كانوا قد اصبحوا في ذاك العهد الواغل في القدم يجهلون لغتهم العبرانية ، ولم يكونوا يتكلمون الّا اللغة اليونانية - المكدونية السائرة في الاسكندرية يومئذٍ كما مر بك آنفاً . ومن ثم فقد غدوا بحاجة الى ترجمة التوراة العبرانية الى اللغة اليونانية ليتسنى لهم ادراك الاسفار المقدسة التي كانت تتلى عليهم في مجامعهم ومعابدهم مدة اقامة الرتب الطقسية . ولا ريب في ان القيام بعمل خطير كهذا قد استغرق سنين طويلة يتعذر علينا تعيين السنة التي انتهى فيها.

على ان الذي عليه اكثر اهل التدقيق هو ان الفراغ من هذه الترجمة كان

١) قال العلّامة ماتير (Matter) خلال كلامه عن أرسطوبولس في المجلد الاول من كتابه القيّم المسمى تاريخ مدينة الاسكندرية ، صفحة ١٩٩ ، ما ملخصه : « ان ارسطوبولس كان بلا نزاع من اقطاب المدرسة اليهودية التي كانت في الاسكندرية منذ اقامت فيها تلك الجالية اليهودية الكبرى التي نقلت من اليهودية الى مصر في عهد الاسكندر ، ومن هذه المدرسة نبغ مترجمو اسفار موسى الخمسة وغيرهم ممن ترجموا تباعاً فيما بعد بقية اسفار العهد القديم . »

نحو سنة ١٣٠ ق.م. بدليل انه يتحصل من مقدمة سفر يشوع بن سيراخ انه في سنة ٣٨ لافرجات الملك قدم حفيد يشوع مصر واقام بها مدة. وهناك تبيّن له ان اسفار التوراة العبرانية لم تكن بعد قد ترجمت برمتها الى اليونانية، ومن جملتها سفر يشوع جده. ولذلك اقبل هو على ترجمته من العبرانية الى اليونانية والقاه الى اليهود المتغربين الذين يبتغون التعلّم ممن اهبتهم اخلاقهم للسلوك في سنن الشريعة[1]. والحال انه يوجد ملكان من الملوك البطالسة دعيا باسم (افرجات) احدهما بطليموس الثالث افرجات الاول (٢٤٧-٢٢٢ ق.م.) والآخر بطليموس افرجات الثاني المسمى فيسكون (*Physcon*) (١٧٠-١١٧ ق. م.) ومن ثم يظهر باجلى بيان انه لا يمكن تطبيق قول ابن سيراخ على الاول لان هذا لم يملك الّا ٢٥ سنة فقط كما هو واضح. فلم يبقَ اذن سوى التسليم بان حفيد يشوع قدم مصر في السنة الثامنة والثلاثين لبطليموس افرجات الثاني الذي انافت مدة ملكه عن الخمسين سنة. والسنة الثامنة والثلاثون لعهد هذا الملك توافق السنة ١٣٢ ق. م. وهب ان ترجمة سفر جده قد استغرقت نحو سنتين وهو آخر الاسفار التي نقلت الى اليونانية، فالقول اذن بان معظم اسفار التوراة العبرانية كان مترجماً الى اليونانية في سنة ١٣٠ هو ادعى الى التصديق واولى به[2].

ومما لا غبار عليه ان الذين عهد اليهم بأمر هذه الترجمة قد عاشوا في ازمان مختلفة، فكان لا بدّ اذن من وقوع اختلافات كثيرة فيما ترجموه من الاسفار من حيث نوعية التعبير والتفاوت في الترجمة، وهذا ظاهر من ان الكلام اليوناني لا يستوي في كل اجزاء هذه الترجمة المختلفة. وهكذا قل عن الانشاء وطريقة الترجمة وهجاء اسماء الاعلام وغير ذلك مما يدل على ان هذا الكتاب الالهي ليس بجملته لمترجمين عاشوا في زمن واحد.

اجل ان اسفار موسى الخمسة هي احسن ما ترجم من الاسفار الالهية إما لان مترجميها كانوا اكثر مهارة ممن جاء بعدهم من المترجمين او لانهم استندوا الى مخطوطات اصحّ واضبط من غيرها. اما بقية الاسفار ففيها تباين من حيث

١) مقدمة سفر يشوع بن سيراخ، في الترجمة العربية للآباء اليسوعيين، بيروت.

٢) طالع معجم الكتاب المقدس للاب فيكورو في مادة (*Septante*)

احكام الترجمة وعدمه ، كترجمة سفر دانيال مثلاً فانها جاءت غير محكمة ، وعليه فقد رفضت الكنيسة اليونانية استعمال هذا السفر رفضاً قاطعاً وفضلت عليها ترجمة تاودوسيون[1] . على ان ذلك كله لا يحط من قدر هذه الترجمة ومكانتها السامية ، كيف لا وانك تراها ، معما فيها من الشوائب والعيوب ، اقرب الى الاصل العبراني في جوهرها ومعانيها . ومن ثم فهي من هذا القبيل اكثر اعتباراً من الترجمات الاخرى لانها هي هي الترجمة الاولى التي نقلت عن التوراة العبرانية وذاعت بسرعة بين اليهود اليونانيين كافة . وقد آثرها المسيحيون الاولون على سائر الترجمات ، واتخذها الرسل الاطهار كاساس لتلقين الامم قواعد الدين المسيحي ، واستمدّ كتبة العهد الجديد كثيراً من آياتها بدلاً من ان يستمدوها من الاصل. وبالاجمال فهي التي مهدت السبيل لنشر البشارة الانجيلية في اصقاع العالم واقطاره الشاسعة[2] .

١) لقد اطلق على هذه الترجمة اسم ترجمة تاودوسيون نسبة الى مترجمها ، وهو رجل افسسي المولد اخذ في ترجمة العهد العتيق من العبرانية الى اليونانية في نحو اواسط القرن الثاني للميلاد . ثم اعاد تاودوسيون هذا النظر في الترجمة السبعينية ونقح فيها ما لزم وهذّب المواضع التي بدا له فيها شيء من الخطأ من حيث المعنى والنسخ . وقد وضع العلّامة اوريجانوس ترجمة تاودوسيون في مؤلفه الشهير المعروف بذي الاعمدة الستة (*Hexaples*) وكان المسيحيون في القرون الاولى يفضلون ترجمة تاودوسيون لسفر دانيال على ترجمة هذا السفر في السبعينية . واعتمد القديس ايرونيموس في ترجمته قصة سوسنة على ترجمة تاودوسيون .

٢) قال صديقنا العلّامة الاب هنري كنتان البندكتي (Quentin) في كتيبه المعنون : *Essais de Critique textuelle, p. 13* : « ان الكنيسة الاولى جعلت لغتها اللغة اليونانية ففي هذه اللغة كتب القديس بولس رسالته الى الرومانيين وفي اليونانية كان يتلو المؤمنون الكتاب المقدس في مجتمعاتهم وكانوا يستعملون لتلاوة العهد الجديد النصوص الاصلية . اما في القسم الاكبر من العهد القديم المكتوب باللغة العبرانية فكانوا يرجعون فيه الى الترجمة اليونانية السبعينية التي كان لها عندهم المنزلة السامية حتى انهم قد عدوها كموحاة . »

وليس كذلك القديس ايرونيموس الذي كان يفضل النص العبراني على الترجمة السبعينية رغماً من الانتقادات الجارحة التي سببتها له هذه البدعة ، وحجته في دعواه ان المخلص والرسل كانوا يوردون آيات العهد القديم ، لا بحسب التوراة السبعينية ، بل بحسب العبرانية . انظر :
Léon Sanders O. S. B., *Etudes sur S. Jérôme p. 34.*

العلم والدين

بقلم منصور حنا جرداق
استاذ الرياضيات العالية
في الجامعة الاميركانية (بيروت)

تطور العالم في الثلاثين سنة الاخيرة تطورًا غريباً ، فقد كان انتاج العالم المتمدن في ضروريات الحياة و كمالياتها ، منذ مائة سنة ، ربع ما ينتجه في الوقت الحاضر . ولم يقتصر انتاج العلم على ألذ المأكولات ، واجمل الاثواب ، وافخر المساكن ؛ ولكنه تخطاها الى إعداد احسن اساليب الراحة والملاهي ، وانفع اسباب السرور والسعادة ، وافضل وسائط تنشئة القوى العقلية والتهذيبية والادبية . فجعل مجال الحياة فسيحاً ، واوجد اثمن الفرص للتقدم والارتقاء .

ونجاح العلم يستدعي توجيه الذهن الى اساليبه والتمعن فيها . ومعلوم انه عماد العلم الملاحظة والمراقبة والتجربة والاختبار والتحليل . وقد عرف ذلك العلماء منذ مئات السنين ، ولكن الذين لا يشتغلون بالابحاث العلمية قلما يقدرون الدقة الزائدة والضبط التام اللازمين للقيام بالملاحظات والتجارب ، والامانة في تدوينها ونقلها وتسجيلها ، وتنوع الاساليب المختلفة وتغير الظروف في اعادتها ، فانهم قلما يقدرون ذلك حق قدره . فالعلم لا يخضع للعادات والتقاليد والمعتقدات ، ولا يتقيد بالعواطف ، بل يعزز الحق ويرفع لواءه ، ويتطلبه الى اقصى درجات الامانة ، ولا يقدح بفضله وصحة دعواه تنقيح النظريات وتغييرها ؛ لان النظريات ليست سوى افضل تعليل لفئة خاصة من الظواهر التي تعرض للبحث العلمي في وقت ما . وما التنقيح والتغيير والتبديل

فيها الا اكبر دليل على تقدم المعرفة وارتقاء العلم . والاكتشافات الحديثة لا تناقض « الحقائق » القديمة السابقة ، ولكنها تتضمنها كما يتضمن الكلُّ الجزء الخاصَّ ، وكما تتضمن القضايا العامّةُ القضايا الخاصة . فالاكتشاف الحديث أن الجواهر الفردة مركبة من كهربائية ايجابية وسلبية لم ينقض علم الكيمياء وعلم الفلسفة الطبيعية ولم يقلبها رأساً على عقب ، ولكنه احدث بعض التغييرات في اصطلاحاتها واتجاهها.

والاساس الذي يرتكز عليه العلم هو اطّراد نظام الكون وترتيبه . والمراد به أن الاسباب المتشابهة تمام التشابه يعقبها نتائج وظواهر متشابهة . وبكلام آخر : اذا عمل سبب ما تحت ذات الظروف والمحيط فان نتيجته تكون واحدة . وهذه القضية ، وان ظهرت حقيقتها كأولية ، فان تاريخ العلم والعمران يثبت عكس ذلك . فالقدماء اوجدوا الآلهة الميثولوجية لتعليل مظاهر الطبيعة - وما الخرافات المستولية على عقول الفريق الاكبر من البشر سوى دليل على ان الاساس الذي يرتكز عليه العلم — اي اطّراد النظام واستمرار ترتيبه - لا يزال مجهولًا وغير مسلّم به او معمول بموجبه.

ويسود الاعتقاد بين العلماء ان بداءة العلم كانت في علم الفلك لان أبسط الظواهر الطبيعية — التي تتكرر غالباً وتعود الى ما كانت عليه قبلًا في اوقات قصيرة ونظامية ، ويطرد حدوثها في اوقات معينة ، ويلاحظها جميع البشر ، وتؤثر على مصالحهم واشغالهم ، والتي لها مساس بسائر امورهم في الحياة فينتبهون لها ، وتؤثر في عقولهم فيعرفون اطراد نظام الكون — تجري في ميدان علم الفلك ، كطلوع الشمس وتعاقب الليل والنهار ، واوجه القمر ، وتتابع الفصول ، وظهور مجاميع النجوم الخاصة المعروفة « بالابراج » والصور او الكوكبات.

وعليه فحينما استتبّت للبشر معرفة اطراد النظام في الكون في علم الفلك ، سهل عليهم معرفته وتقريره والجري عليه والعمل بموجبه في سائر العلوم . وبالرغم عما قام من العقبات والمصاعب والمشاكل في وجه العلم والعلماء وخصوصاً في الاعصر المظلمة حينما تراجعت العلوم القهقرى وخُشي على مصباح التمدن

والعنران من الانطفاء ، بالرغم عن كل ذلك فان مبدأ اطراد النظام والترتيب والتعاقب في الكون امتدَّ وانتشر من العلوم الفلكية والطبيعية والكيماوية وغيرها من العلوم المختصة بالعالم الغير الآلي ، الى العلوم البيولوجية ، وحديثاً الى العلوم العقلية والتاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد والى كل ما له مساس وعلاقة بعقل الانسان . ويجب علينا قبل كل شيء ان نصرح في هذا المقام ونؤكد ان معرفتنا لاطراد نظام الكون وترتيبه وتعاقبه في الامور الطبيعية ناقصة جداً . فالمجهولات في الطبيعة اكثر جداً من المعلومات . نرى هذه المجهولات في نواميس الجماد ، وفي خواص الحيوان والنبات ؛ فاذا قسنا ما نعلمه بما لا نعلمه ، وجدنا اننا لا نعلم شيئاً يذكر واننا لسنا سوى مشاهدين وواصفين . من منا يعلم لماذا تنوعت العناصر في اشكالها والوانها وخواصها ؟ من منا يعلم كيف نشأت انواع النبات والحيوان التي تعد بمئات الالوف ؟ وكيف تختلف افراد كل نوع منها واصنافه ؟ — اذا كانت معرفتنا في العلوم الطبيعية التي تقع في ميدان الحواس الخمس كما ذكرنا فما قولنا في سائر العلوم المعقدة كعلم الحياة والعلوم العقلية وعلوم التاريخ والاقتصاد والسياسة حيث تدخل ارادة الانسان وتلعب الاهواء والعواطف ، اما عمداً او عن غير قصد ، دوراً هائلاً ، فتحجب الحقائق وتوضع الامور في غير مواضعها وتقلب النتائج وتعكس عما كانت عليه وتصور وتلون بغير لونها الحقيقي . ولكن هذا لا يقف عثرة في سبيل الاعتقاد الراسخ انه توجد ادلة عديدة على اطراد النظام والترتيب والتعاقب في هذا الكون ، وفي جميع مظاهره الطبيعية والعقلية ، فيشمل الجماد والنبات وجميع انواع الحيوان والانسان . وعلى ان هذا الاعتقاد عام بين جميع طبقات العلماء .

ذكرنا قبلاً ان عماد العلم الملاحظة والمراقبة والتجربة والاختبار والتحليل ؛ فيجمع العلماء عدداً من الظواهر او الحوادث المتشابهة ، ويدرسونها درساً وافياً ، ويمحصونها تمحيصاً دقيقاً ، ثم يستخرجون منها رأياً او نظرية لبسطها وكشف المجهول منها وتعليل ما يجهلون علته . ثم يعرضون عليها للحك كل ظاهرة او حادثة مما لديهم ليتحققوا صحة النظرية وصدقها ، وهل بوسعهم ان يعللوا

بواسطتها جميع الظواهر والحوادث . فاذا وجدوها قاصرة اهملوها واستنبطوا غيرها . ولكن اذا وجدوها صحيحة عمدوا الى جمع ظواهر اخرى وحوادث من ذات النوع وعرضوها على النظرية كما فعلوا قبلاً ، وقاموا بتجارب واختبارات دقيقة لابرامها (اي النظرية) واثبات صحتها وصدقها ، او نقضها . فاذا ابرمت وثبت صدقها وصحتها المرة بعد الاخرى ، صارت ناموساً او قانوناً كناموس الجاذبية . وهذا يتطلب وجود عدد عظيم من الظواهر والحوادث ، والحصول على ادوات وآلات علمية دقيقة . وقد عجز القدماء عن الوصول الى ما وصل اليه المتأخرون لتعذر اكتمال الشروط المذكورة ، فقدماء الكلدان والصينيين عرفوا قانون تكرار الخسوف والكسوف ودورتها ، وفيثاغورس واتباعه اعتقدوا ان الارض كرة تدور حول الشمس ، والسموات ثابتة . واعتقد فلاسفة اليونان بخيالهم الوثاب ان المادة لا تفنى ، وانها تتركب من عنصر واحد أولي ، وبعضهم علم بمبدأ بقاء الأفضل واصول الرأي السديمي والانتخاب الطبيعي . وارسطوطاليس رمى بظله في التاريخ الى مدى عشرين جيلاً في جميع المواضيع والابحاث التي عالجها وبحث فيها ، والى ابعد مجال فيه (التاريخ) في الأبحاث المنطقية: وستبقى قوانينه التي استنبطها وقيّد بها اصول المنطق القياسيّ والاستنتاجيّ خالدة الى ابد الدهر . وسيظل اسم اقليدس وهندسة اقليدس المثال الاعلى لجميع المشتغلين في العلوم الرياضية ما دام البشر بشراً .

والابحاث العلمية التي قام بها العلماء في المدة الاخيرة تدعو الى الدهشة والاعجاب ، والنتائج التي توصلوا اليها تحيّر الألباب ، وذلك باستنباط الوسائل الجديدة واتقان الوسائل القديمة اذ اصبح بوسع العالم الطبيعي ان يقيس جزءاً من مليون جزء من الثانية ، واستخدم في ابحاثه مصباح النيون بدلاً من مصباح كهربائي عادي لسرعة تأثره انارةً واطفاءً من غير ان يترك لمعاناً بعد اطفائه ، لانه يستطيع ان ينيره ويطفئه مليون مرة في الثانية ؛ واستعمل وحدة صغيرة لقياس طول تموجات النور واشعته ، وهي جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر ؛ وبوسعه ان يرى بعدسية هوكر في مرصد جبل واسن ؛ في

كليفورنيا ، شمعة مضيئة على مسافة خمسة آلاف ميل ، وان يبصر بها مصباحاً من نور القوس (مصباح كهربائي) اذا كان على سطح القمر . وعن قريب سيستخدم التلسكوب الجديد الذي شرعوا في صنعه في اميركا ، وقطر عدسيته ضعفا قطر عدسية هوكر المشار اليها ، ومداه الف مليون سنة نورية ، وحينئذ تتراجع الآفاق الكونية وترتدّ الى الوراء مسافة تذكر . وبالجملة نقول ان المرء يتسلح بحواسه الخمس ، ويتذرّع بجميع المعدّات والادوات التي استنبطها ويستنبطها ، ويستخدم جميع الوسائل التي توصل اليها والتي سوف يتوصل اليها ، ويزود بها الكون من اصغر صغيرة فيه الى اكبر كبيرة ، من الذرات الكهربائية والميكروبات الى النجوم والمجرّات او الاكوان الجزرية .

ولكي ندرك شيئاً من عظم القوى الطبيعية العاملة في الكون اقول : انه لو تيسّر لنا ان نبطل فعل جاذبية الشمس للارض ونلغي تأثيرها ، ولو احببنا في الوقت نفسه ان نربط الارض بالشمس بعمود من فولاذ لئلا تفلت الى الفضاء الشاسع ، لاقتضى ان يكون قطر العمود ٣٠٠٠ ميل ويكون حينئذ بالغاً درجة الانقطاع .

ومقدار حرارة الشمس التي تشعّ منها وتنتشر في الفضاء هائل جدّاً ، ولبيانه اذكر انه لو فرضنا وجود جسر من الجليد ممتدّ بين الارض والشمس ، قاعدته نحو ثلاثين ميلاً مربعاً وطوله ثلاثة وتسعون مليون ميل ، وأمكننا صب جميع حرارة الشمس عليه وحده فقط ، لذاب وتحوّل ماء في ثانية واحدة ، وبسبع ثوان اخرى تبخّر واضمحلّ .

ويقدر العلماء القوة المخزونة داخل الجوهر الفرد بكمية عظيمة ، ويعتقدون انه لو اطلقت القوة من الجواهر الفردة الموجودة في قدح ماء فقط لكانت كافية لتسيير اعظم البواخر من الهافر في فرنسة الى نيويورك .

فما هو قولنا في مجموع قوى الجاذبية العاملة بين جميع الاجرام السماوية على اختلاف انواعها ، وعددها يقدر بالوف الملايين ؟ وفي كمية الحرارة التي تشعّ الى الفضاء ؟ وفي مقدار القوى المخزونة في الجواهر الفردة الموجودة في هذا الكون الاعظم والتي لا تحصى ولا تعدّ ؟

ولاجل الدلالة على عظم الكميات اذكر الامثلة الآتية :

١ً — اذا كتبنا العدد عشرة ، ورقيناه الى القوة العاشرة ثم رقينا النتيجة الى القوة العاشرة ايضاً (اي عشرة مرقاة الى القوة العاشرة الى القوة العاشرة هكذا : $10^{10^{10}}$) وكتبنا النتيجة في سطر مستقيم من الارقام ، فهل يخطر لكم ببال كم يكون طول السطر ؟ وكم تكون دهشتكم عظيمة اذا اخبرتكم ان طوله يبلغ نحو ثلاثين الف كيلومتر . اي انه يبلغ نحو ثلاثة ارباع محيط الارض الاستوائي.

٢ً — جميعنا نعلم ان مقدار نسبة محيط الدائرة الى قطرها كمية غير تامة. ولا يمكن قياسها بالضبط ، فهو ثلاثة وكسر عشري لا نهاية له ، ولكنه غير دوري ، وعملية استخراجه ليست سهلة وبسيطة . وقد استخرجه بعض الرياضيين ووصل به الى سبعمائة وعشرة ارقام. ولكي نتصور مقدار التدقيق ، فيما لو اخذنا مئة رقم من الكسر العشري المذكور ، اقول انه لو رسمنا كرة مركزها الارض ومحيطها مار في الشعرى اليمانية التي تبعد عنا نحو ١٣٥ مليون مليون كيلومتر ، وتصورنا تلك الكرة العظيمة ملآنة بالميكروبات بحيث يوجد منها ملايين الملايين في المليمتر المكعب ، وان هذه الميكروبات أُخذت جميعها ووضعت في خط مستقيم بُعد الميكروب الواحد عن الآخر نفس البعد بين ارضنا والشعرى اليمانية اي نحو ١٣٥ مليون مليون كيلومتر ، وجعلنا هذا الخط قطرًا لدائرة وحسبنا محيطها ، متخذين مئة رقم فقط من الكسر العشري ، لكان الفرق بينه وبين المحيط الحقيقي اقل من جزء من المليون جزء من المليمتر.

قلت فيما مر ان الذرات الكهربائية صغيرة جدًا ، ولكي ندرك شيئاً من مقدار حجمها نقول ان بوسعنا ان نضع خمسين الف مليون الكترون جنباً الى جنب في صف واحد ولا يزيد طولها عن قطر نقطة واحدة من نقط حروف الطبع الاعتيادية . ويزيد عجبنا اذا تذكرنا ان البروتون ، وان يكن أثقل من الالكترون ، فهو اصغر منه بكثير . فما قولنا بعدد البروتونات

والالكترونات الموجودة في الشمس ، وقطرها نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر . وماذا يكون عددها في الكون العظيم الاتساع ؟ وبما ان لا فائدة من ذكر الارقام الضخمة ، نضرب المثال الآتي لتسهيل فهم وادراك صغر حجم الاجزاء التي تتركب وتتألف منها المادة :

اذا اخذنا قدح ماء وفرضنا انه بوسعنا ان نعلّم او نَسِم كلَّ دقيقة من دقائق الماء التي فيه لتتميّز عن سواها من دقائق سائر المياه على كرتنا الارضية ، ثم سكبنا ذلك القدح في الاوقيانوس وصبرنا حتى يعمل التبخر والأرياح والغيوم والمطر والينابيع والأنهر والأمواج عملها التام . ثم مزجت هذه الدقائق مع غيرها مزجاً تاماً — اذا جرى ذلك كما رسمنا تماماً — ثم ملأنا القدح ثانية ؛ فكم دقيقة من الدقائق الموسومة او المعلّمة تكون اذ ذاك في القدح ؟ فلأول وهلة يكون الجواب : ولا دقيقة واحدة . ولكن بموجب قوانين الممكنات الرياضية يجب ان يكون في القدح الفا دقيقة ، لأن عدد دقائق قدح الماء يساوي نحو الفي ضعف عدد اقداح الماء الموجودة في الأوقيانوس . زد على ذلك ان حجم الدقائق يساوي نحو عشرة آلاف ضعف حجم الذرات الكهربائية .

واسمحوا لي ان اذكر مثالاً فيه تظهر قوى العقل وتبدو عظمتها بابهى جلالها ومنه نعلم مقدار الدقة الزائدة والضبط التام اللازمين في الابحاث المنطقية . وهو أنه بعد مرور خمسين سنة على اكتشاف السيار أورانوس ، وجد الفلكيون ان الفرق بين مركز السيار الحقيقي والمركز المحسوب له في الجدول دقيقتان من دقائق الزاوية او الدائرة ، وهو فرق زهيد جداً لا يعبأ به في سائر الامور حتى العلمية منها . ولكن الفرق والخطأ في الحسابات الرياضية الدقيقة والمضبوطة خطأ مهما كان قليلاً . ولذلك قامت قيامة العلماء وعلا صياحهم ، فانبرى الرياضيون لحل القضية ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً .

ولرب معترض يقول : ولماذا كل هذا التدقيق والتشديد والتعنت في مثل هذه الامور ؟ وماذا يهمّ الكون خلل طفيف في مركز سيار اكتشف حديثاً ولا تأثير له البتة في امور البشر لا مباشرة ولا مداورة ؟ الا يدلّ ذلك على

ان الفلكيين والرياضيين هم من اهل الخيال وبعيدون عن الامور العملية النافعة المفيدة ؟ والجواب على ذلك : كلا ثم كلا . نعم ان قضية الخطأ الذي ظهر في مركز السيار أورانوس ليست مهمة ولربما كانت بحد ذاتها تافهة من الوجهة العملية ، ولكنها تستدعي النظر والبحث والتدقيق في صحة الامور الأساسية العلمية واساليب العقل البشري والمنطق . لأنه اذا اجرينا رصداً (او تجربة) مهما كان بسيطاً او تافهاً ، وكانت نتيجته القاء الشك في صحة قوانين واصول علم المنطق واظهار عجزنا وضعفنا وعدم مقدرتنا على اكتشاف قوانين ونواميس الطبيعة ، فانَّ ذلك الرصد البسيط الذي لا اهمية له يصير رصداً فائق الاهمية .

والخلل المشار اليه في قضية السيار أورانوس أفضى بالعلماء الى التوصل الى اهم اكتشاف علميّ قاموا به حتى الوقت الحاضر ، وكانت نتيجته انطباق اسمى مبادئ العلوم الرياضية والميكانيكية النظرية على الواقع وعلى الحقيقة . فقد اشار فريق من العلماء انَّ الخلل المذكور المجهولة اسبابه قد يكون ناشئاً عن وجود سيار آخر ابعد من أورانوس يعمل على جذبه وتغيير مركزه . وعليه تكون القضية تعيين مركز سيار بعيد مجهول تام الجهل من نتائج جذبه المتجمعة في مدة تزيد على الستين سنة . وهذا ما فعله لاقاريه العالم الافرنسي ، اذ تمكن بعد الجهد الجهيد والعناء العظيم والحسابات الطويلة العويصة ، من تعيين مركز السيار المجهول وتحديد موقعه في فلكه الخاص واستخراج اصول الفلك او المدار ومعرفة مقاديره ورسمه وقياس حجم السيار نفسه ومعرفة كتلته (مقدار مواده) وقوة جذبه وقدّر نوره . ثم كتب الى غالّه في مرصد برلين قائلًا : « وجّه تلسكوبك الى نقطة في برج الدلو طولها ٣٢٦ درجة تجد بالقرب منها ، وعلى مسافة لا تزيد على درجة واحدة ، سياراً من القدر التاسع بهيئة قرص صغير » وهكذا كان . وبذلك تم الفوز الباهر والنصر المبين للعلوم الرياضية والميكانيكية ، وتعاظمت ثقة العلماء بانفسهم ومقدرتهم على اكتشاف اسرار الطبيعة المكنونة ومعرفة نواميسها المجهولة ، وزاد احترام البشر لسمو قواهم العقلية وتفوق مداركهم ونبوغهم .

وحينما وصلت الى هذه النقطة من الفكر والكتابة توقفت قليلًا

واستعرضت في ذاكرتي فريقاً من أنبغ الفلاسفة والعلماء مثل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وارخميدس ونيوتون ولابلاس وهنري بوانكاره وغيرهم في سائر العلوم ، وعند ذلك تذكرت العبارة التي شاهدتها منقوشةً على ضريح العلامة الفيلسوف اسحق نيوتون في دير وستمنستر في لندن حيث دفنت الامة الانكليزية أشهر مشاهير رجالها واعظمهم ، لان لها في هذا المقام معنى خاصاً ونوراً ساطعاً يخترق تلافيف الدماغ حتى ابعد غور فيها . وهاكم مفاد العبارة المذكورة :« ايها الفانون هنئوا انفسكم لان رجلاً عظيماً كهذا عاش لشرف الجنس البشري »

« *Mortals, congratulate yourselves that so great a man has lived for the honor of the human race.* »

***

واذا وقفنا عند هذا الحد والقينا نظرة عامة نجد — او على الاقل نعتقد اننا نجد — انَّ المرء تسلط على الطبيعة او كاد يتسلّط عليها لأنه أخضع كثيراً من قواها وسخّرها لخدمته ، منذ اتسع نطاق معرفته بها اي بالقوى الطبيعية ؛ واستنبط الوسائل العديدة للسيطرة عليها . فقد سهل المواصلات براً وبحراً وهواء ، واستخدم الكهربائية — اعظم قوة في الكون — لقضاء حاجاته فهو يستعملها لانارة البيوت والمعامل والمدارس والشوارع والملاهي ، ويدير الآلات بها في المعامل ويسيّر القطارات ، وينقل الانباء والصور ، ويطبخ بها طعامه ، ويكوي بها ثيابه ؛ وجعل المخاطبات التلفونية تحدق بالكرة الارضية هازئة بالجبال الشاهقة والصحاري المقفرة والبحار الواسعة ؛ ولا تنقضي سنة الا ويستنبط ادوات كهربائية جديدة تبعث على الدهشة والانذهال والاعجاب وتحيّر العقول والألباب . وعرف اسباب الامراض فتجنبها واخترع الادوية والأمصال على اختلاف انواعها ليتقي شر الامراض اذا هاجمته ؛ وطار على اجنحة الخيال العلمي ودخل الى قلب النجوم والشموس وعرف تركيبها وتكوينها ؛ كما انه قد دخل الى جوف الجوهر الفرد واكتشف تركيبه العجيب المعقّد ؛ وراد السموات الى اقصى حدّ يستطيع الوصول اليه . وهو لا يزال مجداً في عمله ، ونجاحه وتقدمه

يسيران ركضاً ووثباً . ولكن اذا توقفنا وسألنا انفسنا هل توصل المرء الى جوهر الامور وكنهها في العالم الطبيعي ؟ هل عرف الحد الاقصى لطبيعة الاشياء وحقيقتها ؟ وجواب العلماء الراسخين على ذلك سلبي ، لان معارف المرء الطبيعية تقتصر في الوقت الحاضر على صفات الاشياء ، لا على حقيقتها وجوهرها . فاذا اخذنا عصا بيدنا وسألنا ما هو جوهرها وحقيقتها ؟ فالجواب يكون انها شيء مستطيل الشكل ناعم اللمس ، اصفر اللون ، ثقله كذا وكذا . ولكن هذه الامور صفة من صفات العصا وليست العصا نفسها . فالطول ليس العصا ولا اللون ولا الثقل . واذا طبقنا عليها ما نعرفه من العلوم الطبيعية والكيماوية وغيرها من العلوم وقلنا انها مركبة من دقائق وجواهر فردة وبالتالي من ذرات كهربائية ، وتتألف من عناصر الكربون والهدروجين والاكسجين ... الخ . اذا فعلنا ذلك فاننا نكون قد خرجنا عن دائرة الموضوع لان هذه الحقائق ليست حقيقة العصا وجوهرها .

وعليه فانّ ما نعرفه عن الاشياء ومن الاشياء في الكون الطبيعي ليس الا بعض صفاتها . وبما ان خاصة العلم التحليل ، فبموجبه يعتبر العلماء الاصطلاحات الطبيعية وصورها مثل الفضاء ، والوقت ، والكتلة ، والجوهر الفرد ، والالكترون ، اهم الاسس التي تبنى عليها علومهم ، سواء أكانت هذه الصور عبارة عن جوهر الحقيقة الاقصى ام لم تكن . واذا سلّمنا بهذه الصور او الفكرات وبما هو من رتبتها او اقل قليلاً ، فالعلم يفحص ويكتشف العلاقات الكائنة بينها بطرق الامتحان والتجربة ، وهذه العلاقات هي نواميس الكون الطبيعي . وقد لا يتاح لنا ان نعرف مثلاً حقيقة الجاذبيّة او حقيقة قوّة المجرى الكهربائي ، ولكننا نعرف نواميسها ونستخدمها في ماجرياتنا . ولهذا كان البحث في معرفة الحدّ الاقصى لطبيعة الاشياء والوصول الى جوهر حقيقتها خارجاً عن دائرة العلوم الطبيعية — التي تبسط الامور وتجعلها اكثر وضوحاً وجلاء واسهل فهماً وتناولاً ، ولا تتعمد الوقوف على كنهها وجوهرها — وواقعاً في ميدان الابحاث المعروفة بعلوم ما وراء الطبيعة وليس في ميدان العلوم الطبيعية .

والذي يهمّ علماء الطبيعة من كلّ ما ذكر ، ويجعلهم يقفون حيارى ذاهلين

منغوشين ، هو انتظام الكون واتساقه وترتيبه بالضبط التام ، وسلامته من التشويش والتبعثر واعمال الصدفة والاتفاق . فالنظام والترتيب والاتساق في الكون الغير المتناهي اعظم الاكتشافات العلمية لانها تنفي وجود التشويش والتبعثر والاتفاق والصدفة وتثبت للعالم الحقيقي — ولو بطريقة التأمل (او التمثيل) — وجود قوة حكيمة مبدعة صفاتها فوق مداركنا القاصرة مهما سمت.

وكلما فكرنا في المعدات والادوات التي يستخدمها العلماء في ابحاثهم وتجاربهم ، والاساليب والطرق التي يجرون عليها ، والنتائج التي توصلوا اليها ، يتنازعنا عاملان متضادان: عامل استصغار الانسان في جنب غيره من الكائنات والقوى حتى يصير كالعدم ، وعامل استكبار عقله الذي دخل مخادع الجوهر الفرد وبلغ الى اعماق الكون وقاس السموات بالشبر وعرف عناصر النجوم واقدارها وأبعادها.

وآخر ما بلغ اليه العلم حتى الوقت الحاضر هو ان المادة تتألف وتتركب من القوة . ومعلوم ان الفكر والعقل قوتان من نظام غير نظام القوى الطبيعية ، واساليبها في الابحاث الطبيعية معروفة حيث يستخدم المرء حواسه الخمس ويتذرع بها ليرود الكون الذي يحيط به من أصغر صغيرة فيه الى اكبر كبيرة. ولكن هل تقتصر معارفنا في هذا الكون على الطبيعي منها فقط مما ندركه بالحواس الخمس ؟ الا يوجد امور عدا الامور المادية ، وشعور وادراك غير ما يأتينا عن طريق الحواس الخمس ؟ والجواب على هذه الاسئلة يفضي بنا الى ابحاث واسعة الرحاب يتعذر بل يستحيل على العقل البشري الاحاطة بها ، والمرء يكره الخوض فيها لصعوبتها وعدم المقدرة على اثبات كل ما يرغب في ان يثبته منها ، وخصوصاً اذا اشترط فيها ان تقتصر معلوماتنا عنها على ما يأتينا عن طريق الحواس الخمس . وكيف تأتي الامور الروحية عن طرق واساليب المادة فقط ؟ ان ذلك لشرط فاسد . الا يوجد لدينا في العلوم الطبيعية والعقلية قضايا ، اذا قيدناها بشروط مماثلة للقيود والشروط المذكورة سابقاً ، خرجت عن ميدان البحث ، واصبحت معضلة من المعضلات التي لا يمكن حلها ؟ خذوا

مثلًا قضية تربيع الدائرة : اي رسم مربع يساوي دائرة مفروضة ، والعكس بالعكس ? فانه اذا اشترط في حلها استخدام المسطرة والبركار فقط ، اصبح الحلّ مستحيلًا ويبقى كذلك الى آخر الدهر . نعم ان وجه الشبه غير تام في القضيتين ولكنه يكفي للدلالة على ما نقصد .

وبما ان غاية العلم بسط القضايا وشرحها لتصبح واضحة جلية سهلة الفهم قريبة المنال ، فلذلك نستخدم الامور المعروفة بالبداهة كالاوليات الرياضية التي نعرّفها بقولنا انها امور لا تحتاج الى برهان . والحقيقة انه لا يوجد لدينا ما هو ابسط منها لنستخدمه في اقامة البرهان على صحتها وصدقها . ونحن لا نقبل ولا نجيز برهان قضية عامة بمجرّد برهان مثال واحد او عدة امثلة منها ، ما لم نتمكن من تطبيق مبادئ الاستقراء العامة . فاذا طلب منا برهان القضية « مربع الوتر في مثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الساقين » فاننا نثبت صدقها وصحتها ببرهان عام ، ولا نستعيض عنه باخذنا الاعداد : ٣ ، ٤ ، ٥ او اية مجموعة منها واظهار صحة انطباقها على القضية .

والبشر متفقون على قضايا دينية عامة . ولكنهم يختلفون قليلًا او كثيرًا في كيفية تطبيقها ، وغاية العلم تعزيز الحق ورفع لوائه ، والسيطرة على الطبيعة واستخدام قواها وتسخيرها لمنفعة الانسان وسعادته . وكذلك غاية الدين العظمى فانها منفعة الانسان وسعادته . وعليه فالعلم الصحيح لا يناقض الدين الصحيح لان الحقيقة لا تناقض الحقيقة . وهذا المبدأ نجده واضحاً جليًا في العلوم الرياضية ، وقد تتعذر احياناً مشاهدته كذلك في غير العلوم الرياضية ، وسببه قصر مداركنا ونقص معارفنا .

وخلاصة القول ان ميدان العلوم الطبيعية غير ميدان الدين ، واساليب البحث مختلفة فيها . وعليه فليس بوسعنا ان نثبت ونبرهن المبادئ والقضايا الدينية بنفس الطرق والاساليب التي نستخدمها في برهان القضايا العلمية . ولكن العالم المادي ليس كل شيء في الكون ، بل هنالك العالم الروحي الذي هو أعظم واسمى واشرف ، وانه لا نزاع ولا خصام بين العلم الصحيح والدين الصحيح

لذة وفائدة

وفرة الذهب، والترف في القديم

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

وفرة الذهب

جاء في الكتاب الكريم أن موسى الكليم حين اذ همَّ بعمل خباء المحضر والتابوت، طلب الى بني اسرائيل التبرّع بالعطاء، وتقدمة ما تسخو به نفوسهم للرب «فاتى الرجال والنساء من كل مَن سخت نفسه فجاؤا باسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب وكل من قدم تقدمة ذهب للرب.»[1] فاجتمع لدى النبي على اثر ذلك ذهب كثير. «فامر موسى ان يُنادى في المحلة ويُقال: لا يعمل رجل ولا امرأة بعد شيئاً لتقدمة القدس؛ فكفَّ الشعب عن التقديم.[2] وغشوا الالواح بذهب، وصنعوا لها حلقاً من ذهب مكاناً للعوارض، وغشوا العوارض بذهب. وصنعوا للحجاب اربعة اعمدة من سنط وغشوها ذهباً، وعقاقيفها من ذهب[3]. وعمل بصلائيل التابوت من خشب السنط طوله ذراعان[4] ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وسمكه ذراع ونصف، وغشاه بذهب خالص من داخل ومن خارج، وعمل له اكليلاً من ذهب محيطاً به. وصاغ له اربع حلقات من ذهب. وصنع عتلتين من خشب السنط وغشاهما بذهب. وصنع غشاء من ذهب خالص طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف. وصنع كروبين من ذهب صنعة طرق. وعمل المائدة من خشب السنط طولها ذراعان، وعرضها ذراع، وسمكها ذراع ونصف، وغشاها بالذهب الخالص، وعمل لها اكليلاً من ذهب يحيط بها. وعمل اكليل ذهب لحافتها محيطاً بها. وصنع الآنية التي على المائدة قصاعها

١) خروج ٣٥: ٥ و ٢٢ ٢) خروج ٣٦: ٦

٣) خروج ٣٦: ٢٤ و ٢٦ ٤) طول الذراع ٥٥٥ مليمتراً

ومجامرها وجاماتها وكؤوسها التي يُسكب بها من ذهب خالص . وعمل المنارة من ذهب خالص . منها كانت عُجَرها وشُعَبها كلها قطعة واحدة مطروقة من ذهب خالص . وصنع لها سبعة سرج ومقاطها ومنافضها من ذهب خالص ، من قنطار[١] ذهب خالص عملها مع كل آنيتها . وعمل مذبح البخور من خشب السنط طوله ذراع ، وعرضه ذراع مربعاً ، وسمكه ذراعان ، وقرونه منه ؛ وغشّاه ذهباً خالصاً سطحه وجدرانه من حوله وقرونه ، وعمل له اكاليل ذهب محيطاً به . وعمل له حلقتين من ذهب تحت اكليله.[٢] وكانت جملة الذهب الذي صيغ في جميع عمل المقدس ، وهو ذهب التقدمة ، تسعاً وعشرين قنطاراً وسبع مئة وثلاثين مثقالاً[٣] بمثقال القدس.[٤] اي نحو ١٢٤٤ كيلوغراماً تبلغ قيمتها ٤,٢٨٤,٧٣٣ فرنكاً ذهباً . وسعّرها هوملاور (Hummelauer) ٣,٨٥٥,٧٣٣[٥].

وما عدا ما ذُكر من الادوات فقد صنعوا الأفود وزناره من ذهب ، وطوقين لحجري الجزع من الذهب ، والصدْرة صنعوها من ذهب ، ورصّعوا فيها اربعة اسطر من حجارة كريمة في الذهب ، وصنعوا لها سلاسل مجدولة صنعة ضفر من الذهب الخالص . وصنعوا ايضاً طوقين وحلقتين من الذهب ، وجلاجل من ذهب خالص[٦].

ولما بنى سليمان بيت الرب في اورشليم ، جعل فيه من الذهب شيئاً جماً كثيراً . « وكان طول المحراب عشرين ذراعاً ، وعرضه عشرين ذراعاً ، وسمكه عشرين ذراعاً ؛ وغشّاه بذهب خالص . وصنع مذبحاً من الأرز تجاه المحراب وغشاه بذهب . وغشّى سليمان داخل البيت بذهب خالص ، ومدّ سلاسل ذهب امام المحراب ؛ وغشّى بالذهب جميع البيت بتمامه . وغشّى مذبح

---

١) القنطار بالعبرانية « كيكّار » كان وزنه ثلاثة آلاف مثقال اي ٤٢ كيلوغراماً و ٥٣٣ غراماً .

٢) خروج ٣٧.

٣) كان وزن المثقال ١٤ غراماً و ١٧٧ ميليغراماً .

٤) خروج ٣٨: ٢٤.

٥) طالع كتابه *In Exod., Paris, 1897, p. 348*

٦) خروج ٣٩.

المحراب كله بالذهب . وصنع كروبين سمك كل واحد عشر اذرع ، والجناح الواحد من الكروب الواحد خمس اذرع ؛ وغشى الكروبين بالذهب . وغشى بالذهب ارض البيت داخلاً وخارجاً . وصنع لباب المحراب مصراعين من خشب العُتم[1] وغشاهما بذهب . وصنع لباب الهيكل مصراعين ونقش عليهما كروبين وغشاهما بذهب محكم على النقش.»[2] وفوق هذا كله « صنع سليمان جميع ادوات بيت الرب ، المذبح من الذهب ، والمائدة التي عليها خبز الوجوه من الذهب ، والمنائر من ذهب خالص ، خمساً عن اليمين ، وخمساً عن الشمال امام المحراب ، والازهار ، والسرج ، والملاقط من الذهب . والطسوت والمقاريض ، والجامات ، والصحون ، والمجامر من ذهب خالص ، والمفاصل لمصاريع البيت الداخلي وهو قدس الاقداس ، ولمصاريع البيت وهو الهيكل ، من ذهب . ولما أُكمل جميع العمل الذي صنعه الملك سليمان لاجل بيت الرب ، ادخل سليمان اقداس داود ابيه من الفضة والذهب والادوات وجعلها في خزائن بيت الرب.»[3]

وكان داود قد جهّز في حياته الذهب لبيت الرب مئة الف قنطار من الذهب ، كما ورد في سفر اخبار الايام الاول.[4] فالمئة الف قنطار التي جهّزها داود تبلغ قيمتها اربعة عشر مليارًا من الفرنكات الذهب.[5] وقد اعطى داود فضلًا عنها من ماله الخاص ثلاثة آلاف قنطار ذهب ، من ذهب اوفير.[6] وتطوّع رؤساء الآباء ، ورؤساء اسباط اسرائيل ، ورؤساء الالوف والمئين مع رؤساء عمل الملك ، وادّوا لخدمة بيت الله من الذهب خمسة آلاف قنطار.[7] « وارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاحين عارفين بالبحر ، فاتوا اوفير ، واخذوا من هناك اربع مئة وعشرين قنطارًا من الذهب

١) العُتم شجر الزيتون البري ، الواحدة بالهاء. ٢) ٣ ملوك ٦ : ٢٠–٣٥.
٣) ٣ ملوك ٧ : ٤٨–٥١. ٤) ١٤:٢٢ و ٢٨ : ١٤–١٨.
٥) معجم التوراة لفيكورو ، المجلد الرابع ، عمود ١٨٤٣.
٦) لم يُتوصل الى معرفة موقع اوفير. فنهم من جعلها في بلاد العرب ، ومنهم في افريقية ، ومنهم في الهند. ٧) اخبار الايام الاول ٢٩ : ٢–٧.

واتوا بها الملك سليمان.»[١] اي ١٧,٨٦٤ كيلوغراماً.« وكان وزن الذهب الذي ورد على سليمان في سنة واحدة ستمائة وستة وستين قنطار ذهب.»[٢] اي ٢٨٠,٠٧٥ كيلوغراماً تنتهي قيمتها الى نحو ٩ مليارات من فرنكات الذهب. وليس هذا بكثير على ابن داود الذي جمع الذهب كالقصدير.[٣]

ولما عاد بنو اسرائيل من جلائهم حملوا معهم شيئاً كثيرا من الذهب لبناء بيت الرب. وردّ كورش ملك فارس الآنية التي كان اخرجها نبوكدنصر من اورشليم، «وهذا عددها ثلاثون طستاً من الذهب، والف طست من الفضة، وتسعة وعشرون سكيناً وثلاثون جاماً من الذهب، واربع مئة وعشرة جامات من الفضة من الرتبة الثانية، والف من آنية اخرى، جميع آنية الذهب والفضة خمسة آلاف واربع مئة اصعدها شِشبصر عند اصعاد اهل الجلاء من بابل الى اورشليم.»[٤] ثم ان «بعض رؤساء الآباء اعطوا على حسب وسعهم لخزينة العمل واحداً وستين الف درهم[٥] من الذهب.»[٦] اي ما يبلغ ١,٨٠٠,٠٠٠ فرنك.

وما ملك ارتحششتا حتى اوعز الى عزرا ببناء بيت الرب. فشخص عزرا من بابل، ورؤساء الآباء. وجمع هؤلاء الرؤساء عند نهر اهوى[٧]، وفرز اثني عشر من رؤساء الكهنة، ووزن لهم الفضة والذهب والآنية...«ووزنتُ لهم ست مئة قنطار فضة من اواني الفضة، ومئة قنطار من الذهب، وعشرين جاماً من الذهب الف درهم.»[٨] واعطى نحميا الف درهم ذهب. ومن رؤساء الآباء من اعطى لخزينة العمل عشرين الف درهم من الذهب. والذي اعطاه سائر الشعب عشرون الف درهم من الذهب.[٩]

وقد اخبر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان هيكل هيرودس كان له تسعة

١) ٣ ملوك ٩: ٢٧–٢٨. ٢) ٣ ملوك ١٠: ١٤–٨.
٣) سيراخ ٤٧: ٢٠ ٤) عزرا ١: ٩–١١.
٥) الدرهم اربعة غرامات ونصف. ٦) عزرا ٢: ٦٨–٦٩.
٧) اختلفت الآراء في تعيين موقع هذا النهر. والراجح في الرأي انه قناة تتشعب من دجلة او الفرات. وذهب بعض النقاد الى ان اهوى مخاضة الميت.
٨) عزرا ٨: ٢٦–٢٧. ٩) نحميا ٢: ٧٠–٧٢.

ابواب منشّاة بذهب وفضة ، وان داخله كله كان مغشى بصفائح الذهب . ولما فتح وسبسيانوس وطيطوس اورشليم نقلت مائدة الذهب والمنارة الى رومية.[١]

ولما شاعت عبادة الاصنام في اسرائيل على اثر تمرّده على بيت داود ، من اجل حماقة رحبعام بن سليمان ونقص فطنته ، عمل ياربعام عجلين من الذهب ، وجعل احدهما في بيت ايل ، والآخر وضعه في دان.[٢]

ثم من لا يقضي العجب من تمثال الذهب الذي صنعه نبوكدنصر . فهذا التمثال كان طوله ستين ذراعاً وعرضه ست اذرع . ولعله لم يكن كله من الذهب ، بل كان مغشى بالذهب فقط . ومهما كان من ذلك فان تغشية تمثال طوله ٣٠ متراً في عرض ثلاثة امتار تحتاج الى نفقة جسيمة . وقد روى هيرودوت[٣] انه كان في بابل تمثال من ذهب لاله جالس وعلى مقربة منه مائدة ذهب ، وعرش ذهب ، ودرجة ذهب ، يبلغ الكل ٨٠٠ قنطار ، قيمتها ٦٠,٥٨٨,٠٠٠ من الفرنكات الذهبية . وذكر ايضاً مذبح ذهب وتمثالًا مصمتاً من الذهب طوله اثنا عشر ذراعاً . ثم ان ديودر الصقلي[٤] وصف ثلاثة آلهة كانت فوق الهرم البابلي . فهذه الآلهة ومذابحها وآلاتها كان وزنها يبلغ ٥٨٥٠ قنطاراً من الذهب اي ١٤٣,٥٥٩ كيلوغراماً قيمتها ١٣٠,٦٧٧,٠٠٠ من فرنكات الذهب.[٥] وفي هياكل الهند اليوم ما لا يقدر من الذهب.[٦]

الترف في المملكة الرومانية

في الجيل الثاني قبل المسيح ، كان صاحب الستين قنطاراً (*talent*) اي ٣٧٥,٠٠٠ فرنك لا يعد غنياً . فشيبيون الافريقي اعطى كل واحدة من بناته ٥٠ قنطاراً اي ٣٣٧,٠٠٠ فرنك . واوصى م . اميليوس لبيدوس الّا يُنفق على دفنه اكثر من مليون أس اي ٢٨٥٠٠٠ فرنك . وكان يُقوَّم بيت الخطيب

---

١) *Bell. Jud., V,3*	٢) ٣ ملوك ١٢ : ٢٨-٢٩ .

٣) *I, 183*.	٤) *II, 9*.

٥) معجم التوراة لفيكورو ، المجلد الرابع ، عمود ١٨٤٥

٦) *Cf.* P. Loti, *L'Inde*, *Paris*, p. 204-208, 430-432

كرسوس ١٧,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات . ودروزوس المحامي عن حقوق الشعب كان يملك آنية فضية قيمتها ٩٠٠,٠٠٠ فرنك . وسكستوس روشيوس الذي هلك في فتنة سيلّى كان له ١٣ عقاراً تبلغ قيمتها ١,٧١٥,٠٠٠ فرنك . ول. دومتيوس اهنوبربوس القنصل وعد توزيع عشرين الف هكتار من اراضيه على عشرين الف جندي . وبمبيوس كان يحوز ٢٠ مليوناً من الفرنكات ، والممثل ازوب ستة ملايين ونصف مليون ، وكرسوس المثري بعد اجزال الهبات ، واسناء الصلات ، ترك ٥٠ مليوناً . والعائف لينتولوس الذي عاش في عهد طيباريوس كان يحوز ثلاث مئة مليون سسترس[1] اي ٦ مليوناً . ونرسيس العتيق في عهد كلوديوس كان يملك اربع مئة مليون سسترس اي ما يساوي ثمانين مليوناً . ونال حفيد هورتنسيوس من اوغسطوس مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ فرنك ، واعطى طيباريوس ٤٠,٠٠٠ فرنك كلًّا من اولاد هورتنسيوس الاربعة ، واشترى اوكتافيوس سمكة بالف فرنك . وكانت الديون آنئذٍ باهظة جداً . فقيصر كان عليه سبعة ملايين من الدين ، ومرقس انطونيوس احد عشر مليوناً ، وكوريون القنصل سبعة عشر مليوناً ، وميلُن اكثر من عشرين.[2]

وفي عهد نيرون كان ستة ملّاكين مستولين على نصف اقليم افريقية . ولما باعت ملانية الصغيرة عقاراتها لتوزّع ثمنها على الفقراء ، كان لها ثماني مئة عبد ، واملاك واسعة في كمبانية وصقلية واكيتانية واسبانيـة . وكان لآل انيشية (Anicia) عقارات واملاك في كل مكان . ومدينة نيكوبوليس برمتها كانت للقديسة بولا.[3] بيد ان هذا الغنى الفاحش كان يضرّ بالمملكة ، لان هذه الملايين الكثيرة كانت تضيق عن سدّ احتياجات اربابها اصحاب الثراء ، وتكاد لا تكفيهم للقيام على العبيد والخصيان ومغالاة القصور ، وتشييد المصايف والصروح في ظاهر المدينة ، وجلب ماء الانهار على ظهور القناطر في القنوات الى بساتينها ، فضلاً عن الرواقات الطويلة الحاوية الاعمدة الفاخرة ، والخشب النادر ، والمعادن

١) كانت قيمة السسترس ٠,٢٥٦ من الفرنك .

٢) Paul Guiraud, *Lectures historiques*, Paris, 1896, p. 385-388.

٣) S. Hier., *Praefat. epist. ad Tit.*

السنية ، والرخام العزيز ، والفسيفساء الجميلة ذات التهاويل والتصاوير الحسنة المرصّعة في السقوف والجدران ، والذهب والحجارة الكريمة المركّبة في الحيطان ، والابواب المصنوعة من خشب الارز المرصّع بالعاج ، والعُمُد ذات الرونق المعجب ، وتماثيل الرخام الابيض والفضة والبرنز المذهب ، وسجوف الحرير والبرفير الناعم الرقيق الشفّاف ، وزجاج الكوى الملوّن ، وكراسي الفضة ، والزرابي الفارسية والهندية ، والفرش الوثيرة التي يجلس عليها ربات البيوت بين الازهار وروائح الندّ والعنبر ، والإماء والوصائف اللواتي يروّحن عليهنّ براوح الذهب والحرير ، ويعطرن ويمسّكن ارجلهن المخلخلة.[١]

وكان اولئك الاقوام يحرصون على جمع الكتب مفاخرةً ولا يقرأونها ، ويرصفونها رصفاً فوق مناضد مصنوعة من خشب الارز ، او يجعلونها في اصونة ثمينة ، ويباهون بما كتب منها بماء التبر. ولكنهم كانوا احرص على لذيذ الطعام والتأنق في المآكل منهم على جمع الكتب ، اذ انهم كانوا يبذلون المال الكثير في استجلابها واعدادها وفي تفنيق انفسهم ، واستعمال السرف والترف في استجادة المطابخ وانتقاء الوان الاقوات واصناف الاشربة . ففي وسط بيت المائدة كنت ترى خابية ذهب ملأى بالخمرة التاسية يشربونها بجامات مرصّعة باللجين والنضار ، ويرصدون للخدمة العبيد الروقة الحديثي السن ويلبسونهم احسن الثياب . ومتى خرجوا الى المدينة تقدمهم موكب من الطفيليين والعبيد والخصيان والنُغاشيين والمجانين ،[٢] ومنادٍ ينادي امام سيده مطرّباً في صوته ، ذاكراً القاب مولاه الجالس في مركب مذهّب دواليبه من فضة ، او الراكب على جواد وفي يده مروحة ، وعلى رأسه مظلّة. وكان من عاداتهم اتخاذ البغال البيض لجرّ المراكب يلبسونها جِلال البرفير والذهب ، ويجلسون في مراكبهم متفاخرين بثيابهم ونقوشها وانواع طرازها.

امّا النساء فكنّ يخرجن في محفّات يستر جوانبها السجوف ، ويحملها البغال البيض المطهمة الحسنة الهيئة جالسات فوق الحشايا الفاخرة ؛ وقد جمّلن وجوههن

١) فم الذهب: المجلد ١١ ، صفحة ١٠٠ و١٠ ص ١٨٩ ، – و ٥ ص ٤٢١ .
٢) فم الذهب: المجلد ١١ ، صفحة ٥٦٥ – وڤالون : تاريخ الرق . المجلد ٣ ص ٢٥١

وشعورهنّ بالحجارة الكريمة ، ونحورهنّ بقلائــد العقيان ، وايديهنّ بخواتم الذهب ، وارجلهنّ بالخفاف الملوّنة ، ولبسن رداء من جلود تيوس الجبل كله ذهب ،[١] وصبغنَ العيون والوجنات والخدود والشفاه بالالوان البيضاء والوردية والسوداء ، وحملن في آذانهن قوت مشية عائلة ، كما قال القديس يوحنا فم الذهب.[٢] وفي هــذا الزيّ والابهة كن يترددن الى الاسواق والملاعب والكنائس والميادين والحمامات ، ووراءهن جم من الخصيان ،[٣] فاضطرّ ذات يوم القديس فم الذهب الى توجيه هذا التعنيف اليهنّ : «هل تأتين الى هنا للرقص ام للصلاة ؟ »[٤]

وحدّث عن حرص الرومانيــات في الجيل الاول على التزيّن والتخضب والتحلّي ، ولا حرج . فان المرأة من ذوات الجدة واليسار كانت متى انبعثت من منامها تقصد حجرة الزينة حيث ينتظرها إماؤها . فتدنو منها واحدة وفي يدها صفحة مملوءة حليب اتان وتغسل به وجهها ، ثم تدنو اخرى فتبيّضه وتحمّره واخرى تزجج الحاجبين والاهداب ، واخرى تقدم لسيدتها علكة تطيب النكهة وتأتيها بقارورة من العقيق فيهــا بول صبي فيُداف فيه شيء من مسحوق حجر « الخفّان » والرخام وتفرك به اسنانها ، ثم تجعل لها فيها اسنانها الصناعية العاجية المركبــة في الذهب . واذ رأى مرسيال الشاعر مبالغة النساء في الزينــة ، وافراطهنّ في تغيير خلقتهنّ قال هازئاً بهنّ : « انت يا غالّة مركبة من اكاذيب . فبينا انت عائشة في رومية يكون شعرك نابتاً على ضفاف الرين . ومتى خلعت عند المساء ثيابك الحرير تخلعين ايضاً اسنانك ، فيبقى ثلثاك في الليــل ضمن الاسفاط . ان خديك وحاجبيك عمل امائك .»

وتدنو اخرى وتصبغ لها شعرهــا باصباغ مشقّرة ، وتجعّده ، وتضمّخه ، وترويه بالنردين والعطور الشرقية ، وتمشّده في قفاها ، وتعطّر لهـا فاها . ولا

١) فم الذهب : المجلد ٧ ، صفحة ٨٣٦ ، و١١ ، ص ١٥٣ ، و ٤ ص ١٥٣ .
٢) فم الذهب : المجلد ٧ ، ص ٨٣٨ .
٣) فم الذهب : المجلد ٣ ، ص ١٧٦ و ١٥٣ .
٤) فم الذهب : المجلد ١١ ، ص ٥٩١ .

ترال امة في تلك الاثناء واقفة في يدها مرآة يدها من عاج وإطارها مرصع بالدر . ثم تنظف لها أمة اخرى اظفار يديها ورجليها ، وتلبسها نعليها وقلادتها وقرطيها واساورها الذهب وخواتمها في كل اصبع خاتمين ما عدا الوسطى ، فتجلس حينئذ في محفّتها محفوفة بامائها ووصائفها اللواتي يروّحن عليها براوح الريش الثمين ، ويتناوبن على حمل للظلّة فوق رأسها.[1]

وكان الشبّان يباهون النساء في الزينة والتجمّل والتحلي والتطيب والتعطر ولبس الثياب المطرزة ، والنعال الملوّنة ، والاكسية الشفافة ، صارفين كل وكدهم الى الترف والتخنث . وكان اذا دخل الثري منهم الى الحمام إخلاه له القوم ، واذا سلموا عليه اشاح عنهم وجهه ، ومدّ لهم يده او ركبته ليقبلوها فقط .

هذا برض من عدّ احببنا ان نفكّه به القارئ الكريم ليس الّا .

1) Guiraud, p. 215-221.



نبذة تاريخية

في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين

عني بنشرها

القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

توطئة

عُهد اليَّ سنة ١٩٢٦ البحث عن كتابات عبيد الله الابوين نعمةالله كسّاب الحرديني ، وشربل مخلوف بقاع كفرا الحبيس ، والاخت رفقا الريّس ، من ابناء رهبانيتنا اللبنانية . وبينا كنتُ اقلّب اوراق خزانة القصادة الرسوليَّة الجليلة في بيروت ، وقعت تحت يدي رسالة للطيّب الاثر الاب اغناطيوس بليبل اللبناني الشهير[1] ، ارسلها الى السعيد الذكر المطران يوحنا المعدان القاصد الرسولي

---

١) هو ابن ابي انطون بليبل من ساقية المسك ابتدأ في دير مار انطونيوس سير ' احد اديار رهبانيتنا اللبنانية ' في ٦ نيسان سنة ١٧٨٢ ' وله من العمر ١٥ سنة . وألبسهُ فيه الاسكيم الرهبانيّ رئيسه الاب سمعان الخازن في ١٠ آذار سنة ١٧٨٤ ' وسيم كاهناً سنة ١٧٨٧ ' وتولّى كتابة اسرار الرئاسة العامة . وفي سنة ١٧٩٠ ترأس على دير مار موسى الحبشي . وفي سنة ١٧٩٣ ترأس على دير الكحلونية ' وظلّ الى سنة ١٧٩٩ التي فيها تسمّى رئيساً على دير قزحيا وبقي الى سنة ١٨٠٥ . وفي عهد رئاسته على هذا الدير نُقلت المطبعة الشهيرة من دير مار موسى الى دير قزحيا . وفي سنة ١٨٠٥ أنتخب مدبّراً ثالثاً . وفي سنة ١٨٠٨ أنتخب مدبّراً اول . وفي ١٨١٠ سمّي نائباً عاماً ' بعد وفاة الرئيس العام الاب عما ونيل الجميّل . وفي سنة ١٨١١ أنتخب رئيساً عاماً ' وبقي سبعة مجامع اي الى سنة ١٨٣٣ التي فيها خَلَفه الاب مبارك حليحل البكتاوي في الرئاسة العامة ' وتسمّى معه الاب اغناطيوس مدبّراً اوّل . وتوفي في دير مار يوسف البرج ' في ١٩ آذار سنة ١٨٣٥ ' ولم تزل جمجمته الى اليوم محفوظة فيه . وكان رحمه الله من الرجال المشهورين بالتقوى واصالة الرأي والعزم والحزم ' وقد ازدهرت الرهبانية في عهد رئاسته ونمت . وكان صديقاً حميماً للامير بشير الشهابي الكبير . وقد وعدنا حضرة الاب بولس بليبل ' رئيس دير مار مخائيل بحرصاف ' بانه سيدون ترجمة حياته باسهاب ' وهي ملأى بالمفاخر والمآثر الطيبة .

في ذاك الحين ، في تنصُّر بعض الامراء اللمعيين بناء على طلب سيادته منه . فرأيتها اثرًا نفيساً يرفع الستار عن حقائق تاريخية . فاستأذنتُ في نسخها ونشرها فتكرّم صاحب النيافة السيّد فريديانو جيانيني القاصد الرسولي باجابة ملتمسي .

واتفق لي سنة ١٩٢٨ ان رأيت عند حضرة الاب يوسف حبيقه رئيس معاملة المتن اللبناني ، رسالة بمعنى الرسالة الاولى للمثلث الرحمة المطران بطرس كرم ، رئيس لساقفة بيروت المارونيّ ، الى السيد يوحنا المعمدان القاصد الرسولي الآنف الذكر بعث بها اليه تلبيةً لرغبته . وكلتا الرسالتين حجّةٌ قويّة في بابها ، لان الكاتبين شاهدا عيان على حقيقة نظراها بأمّ العين ولمساها لمس اليد . لذلك آثرتُ نشر هاتين الرسالتين على صفحات مجلة «المشرق» الغرّاء بحرفهما طبقاً للاصل ، لافادة الراغبين خصوصاً في الاطلاع على مثل هذه الآثار التاريخية النفيسة[1] .

وقد ورد ذكر اللمعيين الامراء في كتاب الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي ، وفي اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس الشدياق ، وفي تاريخ الرهبانية الانطونية لقدس الآباتي عمانوئيل البعداتي ، صفحة ٤٨٢ ؛ وفي كتاب الشيخ انطونيوس ابي خطّار العينطوريني . المشرق (٤[١٩٠١]:٧٧٣) ، وايضاً في المشرق (١٨[١٩٢٠]:٥٤٣) .

الرسالة الاولى

للاب اغناطيوس بليبل

يُشرِّف بلثم انامل قدس السيد الجليل المطران يوحنا المعمدان النايب والقاصد الرسولي الكلي الشرف والاحترام دام بقاه

ايها السيد الكليّ الشرف والفايق الاحترام

المعروض لقدسكم غب لثم اياديكم المقدسة والتماس بركتكم الرسولية وفرط الوجد التامّ لمشاهدة انوار طلعتكم السنيّة بكل خير . انه لفي اشرف آنٍ سعيد تشرّفنا بوفود مرسوم بركتكم الكريم وفهمنا فحواه وحمدناه تعالى

---

[1] ان النقط الواردة في هاتين الرسالتين تنوب عن كلمات لا تُقرأ في النسختين الاصليتين او عن كلمات خرقها العثّ .

لاعتدال مزاجكم وهداوة بالكم . رسمتم ان نعرض عن عماد وزيجة المرحوم الامير مراد وعن عماد وزيجة ولده المرحوم الامير شديد وان يكون هذا الاعراض مثلما نعرفه ذمّةً بالتحقيق . فحسب امركم ومعرفتنا نعرض ان حيوة الامير شديد والد الامير مراد كان درزيًا مقترن بستّ اخت حيوة الامير قاسم من غزير وهي عمّة سعادة افندينا الامير بشير المعظّم ولا نعلم ان كانت معمودة بدار غزير ام لا . وبعد اقترانها بالامير شديد المذكور دخلت بمذهب الدروز اكثر من قرينها وتمسّكت به جدًا وبهذه الحال اتّجد[1] لهما الامير مراد وبلغ رشده وبعد ذلك حصل نفور زايد بينهما ولا نعلم سببه فحضرت الستّ المذكورة وابنها الامير مراد من دار فالوغا الى ديرنا مار موسى[2] واستقاما في الدير المرقوم بما انه على كيسهم[3] فهجرها الامير شديد حسب سنّتهم واقترن ستّ من بيت رسلان بين الشويفات وهي ايضًا درزيّة . وحين فهمت الستّ المهجورة ذلك اعتمد ابنها الامير مراد في الدير المذكور من الكهنة الموجودين ... بطقسنا المارونيّ . وبعد مدّة حضر ايضًا الامير شديد المذكور الى قرية بعبدات التي هي بقرب دير مار موسى استقام هو وحرمته الدخيلة برهة وجيزة وتوفي درزيًا في القرية المرقومة فنزل ابنه الامير مراد مع والدته دفناه وصرفا الستّ الدخيلة للشويفات ورجعا لدارهما لفالوغا . ومن ثمّ عملا احسانًا مؤبدًا للدير المذكور وهو باقي ليومنا هذا وتصرّف الامير مراد بعهدة والده وخضعت له السية[4] لانه كان رجلًا متعقّلًا ذو فطنة وفصاحة بليغة . وبقي متمسّكًا بطقسنا الماروني مع والدته وذلك من مدّة تنيف عن خمس واربعين سنة .

وبعد كم سنة امرتني الطاعة ان اكون رئيسًا بدير الكحلونية وبما ان الدير المرقوم يخصّ دار فالوغا كنتُ الفقير ولدكم اتردّد كثيرًا لعند حيوة المرحوم الامير مراد لفالوغا وعينت له كاهن من عندي لخدامة داره الروحية حسب طلبه وتارة كنتُ انا بذاتي اقضي لهم اللوازم الروحية . وحيث كثرة تردّدي واختصاصي بهما كانت والدته تخبرني كيف كان قبلًا تمسكها بدين الدروز

---

١) اي وُلدَ لهما
٢) الحبشي ، فوق بعبدات
٣) تحت ادارتهم
٤) اي خضع له الذين تحت حكمه

شديداً . وفي وقت ما شاورني الامير مراد واظهر لي ارادته بالاقتران بابنة عمته الست سلطانه اخت الامير طرودي من بسكنتا جاوبته انه يلزم يجيب تحليلة فارسل جاب تحليلة من بطركنا الذي كان وقتئذٍ وعمل عرس فاخر وكللته (انا) الفقير ولدكم والخوري عبدالله الرامي خادم كنيسة فالوغا وكللناه سراً لعدم المشاهرة بذاك الوقت خوفاً من الدروز . وبعده اتحدّ له الامير شديد وتوفت الستّ سلطانه المذكورة بحال الولادي والخوري عبدالله المذكور عمّد الامير شديد بطقسنا الماروني بحضور ولدكم لانه ما كان يدخل عندهم الطقس الشرقي كلياً . وبما ان الامير مراد كان حبّه فريداً لقرينته المتوفية لازدياد معارفها اراد ان يقترن باختها فاظهر لي ارادته بذلك افهمته ان هذه ربما لا تحلّ عندنا ومع ذلك يرسل يطلب تحليله فطلب تحليله من بطركنا الذي كان بوقته[1] فما سمح له باخذها بما انها بنت عمته واخت حرمته . وبذاك الوقت كان حيوة السعيد الذكر المطران اغناطيوس صرّوف[2] يتردّد لفالوغا حيث له هناك كنيسة ورعية وكان حماه الامير مراد المذكور رجل كاثوليكي يُقال له عبدالله عاصي حين فهم غاية افنديه وازدياد رغبته بأخذ اخت قرينته المتوفية وان بطرك الموارنة ما سمح له بأخذها تفاوض (عبدالله) مع حيوة صرّوف بذلك فوعدهُ انه يحللها له بحيث ان الامير مراد يتبع الطقس الشرقي فاعرض المذكور (اي عبدالله عاصي) على الامير مراد ذلك فلازدياد رغبته باخذها كما سبق ارتضى بتغيير طقسه كي يقترن بها . وبوقته تمَّ ذلك من دون حضورنا وتبع الامير مراد الطقس الشرقي هو بذاته فقط وبقيت والدته وقرينته متمسكين بطقسنا الماروني . وبعد ذلك حضرنا لعنده وسألناه عن سبب هذا التغيير واوضحنا له عدم جواز تغيير الطقوس . جاوبنا ان صرّوف وعده يجيب له تحليله من المجمع المقدَّس بالزيجة وبتغيير الطقس فسكتنا . والامير شديد ولده حين كبر تبع طقس الشرقي ايضاً مثل والده . وفي اعياد الاحتفالية كانوا يجيبوا كاهن كاثوليكي لاجل مناولتهم القربان المقدس وكاهن الماروني كان

١) هو السيّد المغبوط يوسف التيّان
٢) الرومي الكاثوليكي

مقيد بخدامتهم دايماً. وبعد كم سنة توفيت قرينته المذكورة واقترن ايضاً بحضرة الست خدُّوج المحترمة ولله الحمد هي الآن باقية وتعرف ما صار في زمانها اكثر منّا . والامير شديد اقترن بحضرة الستّ الموجودة الآن بحيوة والده والاولاد الذين اتّجدوا بقيوا الذكور بطقس الشرقي والبنات والنسا جميعهم بطقسنا الماروني.

ومن برهة كم سنة حضر انا تحرير من قدس سيّدنا المطران بطرس[1] الكلي الاحترام يسألنا عن ذلك ردّينا له الجواب بخطّنا وختم وظيفتنا حسب معرفتنا نظير هذا الشرح . وبهذا الاثنا قبل وفود امركم حضر لنا تحرير ايضاً من سيادة المطران اغابيوس[2] الكلي الاحترام يسألنا عنه كذلك ردّينا له جواب بخطّنا فقط ليس بختم الوظيفة حسب معرفتنا فربما يكون باحدهم تغيير عَرَضي لانه برح مدّة طويلة جداً توفي خمس بطاركة وجملة اساقفة للابرشية وما احد سألنا . فاذا كان حصل من سهو باحد الجوابات من طول المدّة نرجو السماح لاننا كلما نعرضه فهو بموجب ذمّتنا ومعرفتنا.

هذا ما لزم اعراضه ونرجو عدم ابراحنا من دعاكم ورضاكم وبكل عواطف الخضوع اكرر لثم اياديكم المقدسة ملتمساً بركتكم الرسولية ثانياً وثالثاً وادام الله بقاكم

ولد قدسكم
القس اغناتيوس بليبل (مكان الختم)
لبناني

حرّر بدير مشموشة في ١ ايلول سنة ٣٤[3]
(حاشية) ومن كون ذلك ليس بخطنا لزم اختمناه بختم الوظيفة[4]

(لها بقية)

١) كرم ٢) الرومي الكاثوليكي
٣) سنة ١٨٣٤ ٤) يستفاد من الكتابة المنقوشة على الختم انه كان مدبّراً اول

الشعر العامي

بقلم توفيق عوّاد

١

من هو الشاعر العامي ؟

بعيدًا عن معاجم اللغة ومجموعات القوافي ، بعيدًا عن الاقلام والمحابر ، بين صفوة من الاصدقاء وأمام كاس من العرق ، يجلس الشاعر العامي ، واضعاً رأسه على كفه ، يستوحي قصائده الفكر والعاطفة مجردين عن المؤثرات المصطنعة ، وينشدها بصوته الشجي على سامعيه ، وقد ارتسمت عليه ، في ذبول اجفانه ، وتجعدات جبينه وكل حركة وسكنة من جوارحه ، القوّة الخفيّة التي تدفعه من داخل لاخراج ما يجيش في نفسه الى عالم الوجود : ذكر لمجالس الانس ، عتاب الى الايام الغادرة ، مناجاة للحبيب النائي ، مداعبة للندماء . تلك هي المواضيع التي تبعثها الشاعرية الفطرية فيه ، فيندفع في معالجتها واحدًا فواحدًا ، او يخلط بينها اذا شاء موقعاً نبراته على تصفيق الايدي ونقرات الدف ، حتى اذا اكمل بيته رفع الكاس الى شفتيه المرتعشتين ، يزيد نشوته نشوة ، في حين تردّ عليه الجوقة بملء الحناجر هازجين متهوّسين . فيتجاوب صدى هتافهم بين جدران البيت الدافئ ان كانوا حول النار في ليلةٍ من ليالي الشتاء ، أو يسير به النسيم من وادٍ الى وادٍ ان كانوا على ربوة بين الكروم والصنوبر ، مساء يوم من ايام الصيف الجميل البهيج !

نشأته وتاريخه

الشعر فطري في الانسانية ، عرفته منذ عهدها بالكلام الواضح . كل الامم

في كل العصور احتاجت ان تعبر عن افكار وعواطف خاصة تعبيرًا جميلًا ، اجمل من الذي تستعمله في الاحاديث. وجمال هذا التعبير يتمّ بالايقاع ، كما هو معلوم . فحيثما كان الفكر الحي ، والعاطفة الصادقة ، والنغمة العذبة ، كان الشعر ؛ سواء في ذلك ادوات التعبير ، ان كانت اللغة العربيـة أو غيرها من لغات العالم.

اذا صحّ ما قلنا ، فتاريخ الشعر العامي يرجع الى العصر الذي كانت فيه لغة عامية .وأريد باللغة العامية اللهجة التي يلفظ بها الشعب لغته الفصيحة ، مهملًا فيها تأثير بعض القواعد والاصطلاحات ، وهي تتكوّن او تظهر حين تتضعضع اللغة الفصيحة بسبب كرور الايام من جهة ، ودخول اللغات الاعجمية عليها من جهة اخرى . وقد برزت هذه الظاهرة في اللغة العربية قبيل العصر العباسي ، اذ تفرّق ابناؤها في شتى الاقطار واحتكوا بمختلف الشعوب ، فتعدّدت اللهجـات فيها وكثر الدخيل من الالفاظ.

يقول ابن خلدون في مقدمته[1] :

« لاهل الشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره ، وتخالفها ايضاً لغة اهل الاندلس وامصاره ... ثم لما كان الشعر موجودًا بالطبع في اهل كل لسان ... لم يُهجر بفقدان لغة واحدة.»

ثم يقول :

«أما العرب ، اهل هذا الجيل ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطوّلات... فاهل امصار المغرب من العرب يسمّون هـذه القصائد « بالاصمعيات » نسبـةً الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم . واهل المشرق من العرب يسمون هـذا النوع من الشعر « بالبدوي » وربما يلحنون فيه الحانًا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ، ثم يغنون به ويسمّون الغناء به باسم « الحوراني » نسبةً الى حوران.»

ويردف بقوله :

« لهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول ؛ واساليب الشعر

١) الفصل الحادي والخمسون : في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان كلماتهم موقوفة الآخر.»

ثم يقول في الفصل نفسه :

« لما شاع فن التوشيح في الاندلس ، واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترجيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا اعراباً ، واستحدثوه فناً سموه « بالزجل ».»

والحق ان الموشحات الاندلسية كان لها تأثير عظيم بيّن في نشأة الشعر العامي وانتشاره . ونحن ناقلون بعض ابيات يكاد لا يعرف سامعها اهي شعر فصيح أم شعر عامي . ولعلها مثال صادق للدور الانتقالي الذي مرّ به الشعر من الفصيح الى العامي :

ورذاذٍ دقّ يتزلْ وشعاع الشمسْ يضربْ
فترى الواحدْ يفضّضْ وترى الآخرْ يذهّبْ
والنباتْ يشربْ ويسكرْ والطيورْ ترقصْ وتطربْ
والغصونْ تعطفْ علينا ثم تستحيي وتهربْ

ان في هذه الابيات خطوة نحو الشعر العامي واسعة ، ولكن الحال لم تبق كذلك طويلاً بل تكوّن شعر عامي صرف يبعد البعد كله عن الشعر الفصيح نجد منه شيئاً كثيراً في مقدمة ابن خلدون نفسها . نطالعه ، ولكن الوزن لا يستقيم لنا في انشاده ولا نحن نفهمه حق الفهم ، لان معظم كلماته تابعة للهجات اولئك القوم ، ولا مرجع لدينا يوقفنا على معناها ولا على كيفية لفظها من حيث الحركات والسكون.

... ولقد كان للشعر العامي في ذلك العهد انتشار وازدهار ، مما يجعلنا نعتقد انه كان ظاهرة أدبية قوية . ذكر ابن خلدون ، من الذين نظموا فيه ، اسماء عديدة وقال ان اصحابها أتوا منه بالبدائع . غير انه يفضل عليهم جميعاً أبا بكر ابن قزمان († سنة ١١٦٠) . قال احدهم : « رأيتُ ازجاله مَروية في بغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب.» يريد ان يبين مكانة شعره وشهرته .

وكان في عصره شاعر آخر كبير اسمه عبدالله بن الحاج المعروف بالمدغليس . كان الاندلسيون يقولون : ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء والمدغليس بمنزلة ابي تمام . يريدون بذلك ان الاول كان يعنى بالمعاني اكثر من عنايته بالعبارات ، وان الثاني يفعل العكس .

هذا ما يقوله ابن خلدون . وأما تاريخ الشعر العامي بعد ابن خلدون فما عُني احد بتدوينه . ولكن عدم تدوينه لا ينفي وجوده . فهو قد وجد من دون شك .

وللاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف كتاب لا يزال مخطوطاً يقع في ٥٢٢ صفحة كبيرة اسمه « نيل المتمنّى في فن المعنى » . تناول فيه مؤلفه تاريخ الشعر العامي ، وقدَّم له مقدّمة قيّمة درسه فيها درساً ضافياً احاطه من جميع نواحيه . ولقد تكرم يوماً ، اثناء زيارتنا له في منزله ، بان تلا علينا بعض نبذات من هذا الكتاب ، فاذا هو اوفى ما كُتب في الشعر العامي حتى عصرنا . قال لنا انه اخذ معلوماته الخطيرة من بطون مخطوطات كثيرة محفوظة في مكتبته . وهذا الكتاب يحتوي على مختارات جميلة متنوّعة لاقدم الشعراء العاميين في مصر وسورية والعراق وسائر البلاد العربية . قال : من الذين اشتهروا في اوائل القرن التاسع عشر ابو الكبائر ، والشريف حسين باشا عون ، وناصيف نصار الحاوي ، وغنر العدوان البدوي ، وجبرائيل الشدياق ، وبولس الكاسيني ، وبو علي طبوش . ولديه قصائد من نظم ابن نباتة الشاعر المصري ، ومن نظم صفي الدين الحلي وغيرهما ، مما يدلنا دلالة واضحة ان الشعر العامي لم يُهجر قط بل ظل مرافقاً الاجيال واحداً فواحداً حتى جيلنا هذا .

رُوي عن فخر الدين المعني الكبير ان يوسف باشا سيفا عيّره بقصره ، فانشد في ذلك ابياتاً ، وهو ذاهب للانتقام منه ومحاصرته في قلعة الحصن . ولعل الرواية افسدت فيها قليلاً ، وهذه هي :

غنا قصارْ بعيون العدو كبارْ
انتو خشب حور نحنا للخشب منشارْ
وحق طيبا وزمزم والنبي المختارْ

ما بمرّ الدير (١ إلّا من حجر عكارْ

وفي مخطوطة للاستاذ المعلوف قصيدة لا يُعرف ناظمها . يظهر انها من عهد الامير بشير الكبير كما ينبئنا التاريخ المذكور في اول ابياتها وهو ١٢٠٦ للهجرة ، وكما تنبئنا اسماء العلم المذكورة فيها . في هذه القصيدة يصف الشاعر مجاعة اصابت البلاد في تلك الايام ، وكان له منها نصيب وافر دفعه الى بثّ شكواه . وقد نشرها مع بعض الحواشي الاستاذ المعلوف في « المشرق » (١٨ [١٩٢٠] : ٣٣٩) وهو يرى ان ناظمها لبناني مسيحي من دير القمر او من جوارها . ومما جاء فيها :

سنة ميتين الف وستة اخدت مدّ الحنطه بستة (٢
وكان زمان جدي وستي باعوا بزلطه سبع مدادْ

الى ان يقول :

كان عندي حالوش (٣ وفاس ومنجرتين ودست نحاس
بعت الكل من الافلاس حتى الفرشه والّلباد
أشتريت لولادي رطل طحين فول وكرسنه ورزّين
بمصريات خمسة وستين وعجّناه فتى ما زاد
وخبزناه بلا تنور وحطّينا علياب ناطور
ما كفّانا نص فطور وكان غايبنا ابن عماد »

وقال البدوي من رثاء زوجته « واضحه » :

فاض الغرامْ وفاضت العين بدماعْ من فوق صحن الخد سالت سواقيه
وامسيت انا على الشوق لدّاع وصبّحت قلبي من الهمّ ماليه
قلبي حزين وسافراقهم لوّاع والجمر ما يحرق الا رجل واطيه

انواعه وفنونه

قال الابشيهي في المستطرف اثناء كلامه عن الشعر العامي : « والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض (ولعله يريد القرادي) ، والموشح ،

١) دير القمر ٢) اي بست مصاري ٣) الحالوش : منجل الحصاد

والـدوبيت ، والمواليات ، والزجل ، والكان كان ، والقومـا ، وبينهم من جعل الحماق من السبعة ». هذه هي الفنون التي نظم فيها القدماء. واننا لذاكرون امثلة على البعض منها فيما يلي :

المواليا — قيل ان اول من تكلم بهذا النوع بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم . كانوا ينوحون عليهم بابيـات من الشعر ، ويرددون في آخر كل بيت يا « مواليا » . فعرف بهذا الاسم وقيل ايضاً غير ذلك . من اقدم مـا روى هذان البيتان :

يـا دار اين ملوك الارض اين الفرسْ   اين الذين حموهـا بالقنـا والترسْ
قالت تراهم رمم تحت الاراضي الدرسْ   سكوت وبعد الفصاحه السنتهم خرسْ

القوما — واصل تسميته بهذا الاسم من قول المغنين بعضهم لبعض ! « قوما نُسحر قوما » . في هـذا الباب بيتان ايضاً يرويان عن لسان ولد انشدهـا الخليفة ، فاعجب الخليفة بهما جدَّ الاعجاب فامر له بصلة كبيرة :

يا سيد السادات لـك بالكرم عادات
انـا ابن بو نقطـه تيش ' أبوبا مات

وهنا ننتقل الى الشعر العامي اللبناني فنقول :

يطلق على الشعر العامي اللبناني اسم « معنًى ».

قال الاستـاذ عيسى اسكندر المعلوف : « والـذي اراه في تسميته انه سمي باسم قائله لانه شكوى العاشق الحزين الـذي يسمونه المعنّى فيكون معناه لسان المعنّى . » وهو قول لا يبعد ان يكون الحقيقة او ما يقرب منها.

والمعنّى ينقسم الى ثلاثة اقسام اولية : المطلع ، والقصيد ، والقرادي.

يلتزم في المطلع رويّ واحد في كل من الاشطر الثلاثة الاولى ، وللرابع قافية تردد في كل مقطع ، حتى آخر القصيدة. (والمقطع كناية عن اربعة اشطر) ما عدا المقطع الاول ، فان للشطرين الاولين ، وللشطر الرابع رويٌ واحـد هو الرويّ المردّد بعد ذلـك في كل مقطع ، والشطر الثالث بدون رويّ . كما يظهر ذلك في المثال الآتي . مطلع من نظم موريس بشاره :

بعدك ضناني يا وليف وهدّني وكل فرقة يوم اصعب من سني
قلي عملتا بقصد تاتجبلي الهموم يا عملتا عن طريق الولدني
قالي عملتا بقصد تاتجبلي الهموم تسكب بدال الخمر في كاسي سموم
ما دام عارف ان حبك ما يدوم ما كان لازم بجواك شبكتني

القصيد - يلتزم فيه عادة رويّ في الصدر ورويّ في العجز ، ويتبعان في القصيدة من اولها الى آخرها كما يظهر ذلك في المثال الاتي : قصيد لمنصور شاهين الغريب :

عندي أمانه ثابته طول الزمان الله بشهد ، والعوالم عالمين
لولا الامل في نيل منديل الامان ما كنت للتكتيت اطلقت اليدين
كم غاليًا ينباع في ارخص ثمن والرخيص بروح في سعر الثمين
لما رأينا النسر في وكرو كمن خفنا الجنادب ان يطيرو هايمين

. . .

وقد يجيء كالقصيدة في اللغة الفصحى فيلتزم رويٌّ واحد في آخر العجز كقول جرجس بشاره :

يا نسيم الشرق نحو الغرب سير ودّي سلامي بالعجل ودّيه
سلّم على خلّانا واصحابنا واهدي سلامي للوليف هديه
اشرق علينا بدر يا محلا ضياه عجل غيابو وما فرحنا فيه

وهكذا الى آخر القصيدة . وقد يتصرف فيه ايضاً القوالون على انواع شتى غير هذين النوعين

اما القرادي (ولعله مصحف عن قراضي من القريض وهو الشعر) فهو باب واسع جداً للتفنن ، ذكر خليل سمعان الفغالي من فنونه اثنين وعشرين نوعاً . وذلك في فصل من ديوانه معنون « بالكنز الخفي » اثناء محاورة بينه وبين ابنه اسعد اذ قال :

غير ممكن اعطي شهادي واشهر اسمك بين الناس
ما لم تشرح قرادي تنين وعشرين موضه عال

فشرح له ابنه كل هـذه الموض . منها المسجّع ، والمطبّق ، والموشح ، والقلّاب ، والشلوقي ، وكرج الحجـل ، والكناري ، وغيرها . مثـال على الشلوقيّ :

خوذْ جوابْ ، صحيح سرْ وجولْ وساحْ ، بعايبْ وفلْ
وجوذْ بخطـابْ ، مليحْ وقرْ وقولْ وشراحْ ، وغيبْ وهلْ
قصوذْ النابْ ، وصيحْ وكرْ وصولْ ورباحْ ، وجيبْ الكلْ
سوذْ وحجابْ ، الريحْ وفرْ بعاولْ الراحْ ، وطيبْ البـالْ

وهو فنّ صعب المنال اذ ان كل كلمة فيه قافية.

وهناك نوع آخر اضافي لان القوالين لا ينظمون فيه كثيرًا لما فيه من التحذلق اللفظي وهو العتابا كقول شديد غصن :

لمّا زرت دار النير شكيت كأنك رمح ضمن القلب شكيت
عليكم لاله العرش شكيت حتى يوقفك عند الحساب

وللقوالين باب يحبُ طرقه منهم الملمّون بالكتابة والقراءة وهو ما يدعونه « الالفية » ، نسبةً الى « الالف » اول حرف من حروف الهجاء . يلتزمون فيه في كل كلمة من البيت الواحد ان يكون أولها ألفًا . وفي البيت الثاني أو المقطع الثاني الباء والثالث التاء وهلم جرا . وقد يلتزمون ذلك في اول وآخر كلمة فقط من كل شطر ، وقد ينحون ايضاً غير هذا النحو ممّا لا مجال لاستيعابه . كالذي جاء في ألفية خليل سمعان في الجزء الاول من ديوانه على حرف الباء وقد التزم فيها ان تكون الكلمة الاولى مبتـدأة بباء والكلمة الاخيرة منتهية بباء ، من الشطر الاول والثاني قال فيما قال :

« بولاد ماذي مـا جـو نحر شيب البحر ما بتوكرو بزرة تراب »

(للبحث صلة)

تربية دود الحرير

تقرير رفعه لوزارة الاقتصاد الجليلة بمناسبة
عقد مؤتمر الحرير
حضرة الاب لويس بليبل اللبناني

٢

التربية

ان الاعتناء في الصِغَر والاهتمام بالتربية الفنية بموجب القواعد الصحية يعطيان في المستقبل دودًا بنيته قوية وعضلاته متينة ، اي انه من احسن تربية قزّه وهي صغيرة يجدها كما يشتهي نشيطة قوية في جميع ادوار حياتها ، قادرة على مقاومة كل ما يطرأ عليها من الآفات سواء كانت من تقلّبات الطقس من الحرّ الى البرد الى المطر ، او ما يتهددها من الميكروبات الكامنة لها في البيوت او الآتية اليها من الهواء ، او من ايدي المربين وثياب الزائرين الى غير ذلك . والعكس بالعكس .

قواعد التربية

ان القاعدة التي وضعتها امامي ، وبنيت عليها قواعد التربية ، وكانت علّة نجاحي في عملي ، هي « العملية في التربية بموجب الفن » اعني : انه بمقدار اطالة حياة الدود يكون المحصول قليلًا وبمقدار تقصيرها تكون الحاصلات جيدة وافرة مرضية . القواعد الاساسية في التربية هي :

١ً قبل نقل خريطة البزر الناقف من المدخن الى البيت ، يلزم تدفئته بحرارة ٢٧ د. س.

اما كيف يرفع الدود الناقف عن البزر فهكذا : يطرح على وجه البزر قطعة قماش تسمى « تول » فيوضع فوقها ورق توت طريّ مبسط ويرفع عند امتلائه ، ويوضع على طبق سبق تغطية سطحه بورق توت مفروم فرماً ناعماً .

وعند امتلائه يطعم ورقاً برياً ناعم الهرم جداً. ثم يوضع على السقايف ثم يؤخذ غيره...

٢ً يجدد الهواء اربع مرات في الليل والنهار، وفي كل مرة تصعد الحرارة فوق الحد المرسوم.

٣ً تبقى الحرارة بصورة دائمة بدرجة ٢٧ د. س. ليلاً نهاراً فتحرك شهوة الدود الى الاكل، فيأكل برغبة ونشاط ضروريين لحسن قوته ونموه.

٤ً تطعم القز من التسع الى العشر مرات في الليل والنهار باوقات متساوية من الورق البري الناعم الهرم، قلت من الورق البري لانه طري، وسهل الهضم، فيقيت الدود وينميه بسرعة.

٥ً ان سكين الهرم يلزم ان تكون ماضية مسنونة جيداً لانه اذا كان حدها مفرضاً يرض الورق فتتحول عصارته الى مادة سامة مضرة.

٦ً الاهتمام بالنظافة، وهي من اهم القواعد الصحية الاساسية في التربية. والمواد اللازم تطهيرها (تنظيفها) هي السكاكين المعدة للهرم، يجب غسلها بالصابون قبل الهرم وبعده. واليدان يجب غسلهما قبل الهرم واطعام القز. والبيوت بكنسها بلطافة بحيث لا يتصاعد الغبار. وان انسب وقت لهذا العمل يكون قبل اطعام القز. ومن القواعد المهمة ايضاً في التربية تحاشي القبض على الدود بالاصابع، واخذ الاحتياط اللازم لمنع سقوطها. ووضع الشيح في الوقت المناسب. ومنع دخول الهواء بشكل مجرى. لان القبض على الدودة بالاصابع عند رأسها، او بسقوطها من علو، يسبب قطع خيط الغزل البارز من فم الدودة، فتتحول الدودة الى زيز، فلا تصنع شرنقة. لان القناة الحريرية المزدوجة المخصصة لغزل الخيوط الحريرية هي لطيفة حساسة للغاية، فمتى طرأ عليها عرض مما ذكرنا وقع خلل في نظام هذه القناة، إما بسد هذا المجرى بسبب القبض على العنق، او بقطع خيط الغزل.

٧ً توليد القز على الطباق فوائده لا تحصى منها: ان القز تصوم وتفطر براحة. ومنها سلامتها من الدود الصغير المقصر «الرعوانة» ومنها الشبع والنمو السريع. وخصوصاً ان تراكمها على بعضها «العباوة» تسبب العبوق وسوء نتائجه مفهوم.

تنبيه : ان السير في التربية على هذه الطريقة يجعل اقتصاداً في الورق ، واقبالاً في المحصول ، وتوفيراً في الزمان ، لانه لا يمرّ على هذه القز ثلاثون يوماً من سجنها الّا صارت شرانق . واما من تمشى على طريقة الكسل والراحة فتبقى قزه دوداً من الـ ٤٠ الى الـ ٥٠ يوماً ، وفوق ذلك قلّة المحصول.

التلحيق

ان العادة عند اكثر القزازين ان يمنعوا الاكل عن الدود الناقف اولاً اي « الفوج الاول » ، مدة ٢٤ ساعة ، الى ان يفقس الدود لثاني مرة « الفوج الثاني » ، فيدفعون الاكل لكلا القسمين وقعة واحدة ، ثم يحرمونهما الاكل معاً الى حين الحصول على الفوج الثالث ، وهكذا بالتتابع الى ان يتم فقس البزر كله ، بحجة تلحيق هذه الافواج على اعتقاد منهم ان لا ضرر عليها . والحال اننا لو بحثنا في عملهم هذا لوجدنا ان حجتهم هذه ليست للتلحيق بل لراحتهم فقط . لان التلحيق على هذه الطريقة عين الضرر ، فايّ كائن حيّ لا يهزل متى صرفناه عن الاكل مدة . على ان للتلحيق الاصولي طريقة هي على نوعين : النوع الاول: ان يوضع الفوج الاول في اول السقايف ، والفوج الثاني اعلى منه ، والفوج الثالث فوقهما ، وما يأتي بعده في اعلى السقايف . والفائدة من وضع الفوج الاول في اسفل السقايف ، والفوج الثاني اعلى منه ، والثالث ... الخ هي انه بمقدار العلوّ في البيت تكثر الحرارة ، فيكثر عدد الاكلات فيكتسب الدود نموّاً ولحوقاً بما سبقه . والنوع الثاني للتلحيق : ان يوضع الدود المتأخر تحت قسطل الوجاق المكوعة ، فيأكل من الثلاث مرات الى الاربع زيادة عن المعدل المفروض ، بسبب كثرة الحرارة ومتى نقف الفوج الثاني يرفع الفوج الاول الذي كان قبله ليحل محله ويوضع في اعلى السدة ايضاً بحسب الطريقة الاولى ، وهكذا الى النهاية . وهذه الطريقة الاخيرة هي افضل ولكنها خطرة لكثرة الحرارة . وعليه من سار عليها لزمه الانتباه لئلّا تحترق قزه .

الصوم والافطار

ولما كان لكل صومة تصومها القزّ ، ولكل فطرة ايضاً قواعد خاصة

وعامة رأيت ان اورد هذه القواعد باسهاب تعميماً للفائدة .

قواعد الصومة الاولى : الحرارة ٢٥ د. س. الاكل سبع مرات باوقات متساوية في الليل والنهار من ورق بري ناعم الهرم جيداً . تجديد الهواء والتلحيق كما مرّ ذكره . ومن سار بموجب هذه التعليمات يرى قزه فاطرة ، للمرة الاولى ، بعد اربعة او خمسة ايام من وجودها .

قواعد الفطرة الاولى : الحرارة ٢٦ د. س. الاكل من ثمان مرات الى اكثر من ورق ناعم الهرم بريّ . تجديد الهواء ، والتلحيق ، كما ذكر اعلاه . ان القشّ « اي رفع الدود عن فضلات الورق الجزّة » من اهم القواعد الصحية الفنية في تربية دود الحرير . فيلزم بعد فطورها بمدة ٢٤ ساعة رفع الدود عن الجزّة (قشها) ووضعه على طباق نظيفة فارغة ، ولو كانت الجزة ناشفة لا اثر للعفونة فيها ، وتفرغ الجزة خارجاً عن البيت ، ومنحرفة عن الباب ، منعاً لدخول الغبار . ثم توضع تلك الطباق في الشمس مدة من الزمان لتطهيرها . وان تأخير قشها الى الصومة الثالثة او الرابعة ، كما يصنع البعض ، مضرّ للغاية ، لان القزّ بصومها يضمر جسمها ويرقّ بتدبير العناية لتتمكن من التخلص من قشرتها التي تمنع نموّ جسمها فتنسد تلك القشرة وتصبح منبتاً خصباً للميكروبات . ان طريقة القش الفنية هي ان يطعم الدود ورقاً صحيحاً طرياً « رخصاً » ، ومتى توشحه تماماً يقبض على الورق بلطف ويوضع على طباق فارغة نظيفة ، ويدلّل معاً ، ويطعم حالاً . ثم يُطرح على الدود الباقي ورق صحيح كما في المرة الاولى ، وهكذا الى ان ينتهي العمل . وما حصل من الفرق يعرض بوضع القز المقشوشة اولاً في اسفل السقايف ، والاخرى اعلى منها ، فتأكل زيادة لكثرة الحرارة فيتعوض الفرق

قواعد الصومة الثانية : درجة الحرارة ٢٤ د. س. الاكل ست مرات من ورق بري مهروم ناعم . تجديد الهواء ، والتلحيق كما مر ذكره . فبعد صوم القز باثني عشر ساعة اذا وُجد دود غير صائم « رعواني » يطرح عليه ورق صحيح طري ، ومتى توشحه يرفع ويوضع على طباق فارغة نظيفة ، ويربى كقز جديدة . والاسباب الموجبة لهذا العمل جوهرية هامة وهي ان الدود الصغير

اذا بقي مع الدود الكبير لا يبلغ القطرة الثالثة او ما فوقها الّا ويسقط مائتاً . لان القز الكبيرة تندفع على الورق وتأكله بسرعة وتأكل كل ما وضع امامها ، دائسة على الدود الصغير الذي لا يتمكن من الاكل الّا قليلًا لصغره وضعفه . وبتكرار هذه الحالة يهزل ويموت في ميدان تنازع البقاء المشهور حيث الانتصار للاقوياء . وبما انه لا بد من رفع ذلك الدود يوماً ما مائتاً ، فالاحرى رفعه حيًا فيسلم ، ويكون بعد مدة كالقز الكبيرة . ويجب ان لا يلتفت الى اعذار البعض من القزازين الكسالى بتأخير قشّ القز الى القطرة الثالثة او الرابعة . وبهذه الطريقة تبلغ القز القطرة الثانية بعد ثمانية او تسعة ايام من تحيلها . قواعد القطرة الثانية : الحرارة ٣٥ د . س . وقعات الاكل من السبع مرات الى الثماني من الورق البري الناعم الهرم . تجديد الهواء . القش . التلحيق . تنقية الدود الصغير ، كما ورد اعلاه .

قواعد الضومة الثالثة : الحرارة ٢٣ د . س . الاكل خمس مرات او اكثر من ورق بري ، اذا وجد ، مهروماً هرماً متوسطاً . تجديد الهواء . اعادة النظر على الدود الصغير وفصله كما مرّ اعلاه . وبطريقتنا هذه تفطر القز للمرة الثالثة بعد تحيلها بخمسة عشر يوماً . قواعد القطرة الثالثة : الحرارة ٢٤ د . س . الاكل من الست مرات الى السبع من الورق البري المهروم اذا وجد ، ولو على مرتين في اول افطارها . وفي اليوم الثاني تطعم ورقاً صحيحاً جوياً مفروطة بدون قلحون . تجديد الهواء والقشّ والتلحيق ، كما ذكر اعلاه .

ملاحظات : ١ً ان ما مرّ من القواعد لحدّ هذه القطرة يمكن لقزازة السواحل ان يعتمدوه في تربية قزوزهم . واظن انهم لو اخروا نقل قزوزهم الى الخصاص لحدّ هذه القطرة لكان اكثر فائدة ، وافضل صيانة لها من الاعراض الجويّة ، وللعجلة . ٢ً ان من هذه القطرة وصاعداً تهبّ الريح الشرقية « الشلاهب » واكثر مربي القزوز يطعمون القزّ بكثرة وبافراط . فهذا العمل مضر جداً لان القز في الشلاهب تتحرك فيها شهية الاكل الى حدّ الافراط ، فلو اطعمناها بكثرة فوق المعتاد لسبب لها ذلك تخمة ، فيكثر الماء في معدتها ، ومسامّ جسمها لا تقوى على رشحه كله ، فيبقى جانباً منه اكثر من اللازم

فيسبب لها مرض الاستسقاء. فتلطيف الشلاهب يكون بقفل الابواب والشبابيك الشرقية وفتح الابواب والشبابيك الغربية والشمالية ، ويوضع عليها شراشف بيضاء مبللة بالماء ، ويرش ماء في ارض البيت ، وتُطعم القز مرة واحدة فقط زيادة عن المعتاد . انما الافضل لو بقي غذاء الدود على معدله القانوني بحسب القواعد . ٣ً اعتيادياً بهذا الوقت يبتدي الموت ببعض الدود ، فيجب والحالة هذه ان يرفع الدود المائت ويدفن في الارض لا ان يلقى على سطحها ، او في ارض البيت ، لئلا تنتقل جراثيم الوباء الى البيوت السليمة المجاورة . وبعد النهاية من العمل تغسل الايدي بماء الصابون ، حذراً من نقل المرض الى قز سليمة.

قواعد الصومة الرابعة : الحرارة ٢٢ د. س. الاكل اربع مرات في من ورق صحيح بدون قلحون منسق الوضع. تجديد الهواء . وتلحيق المتأخر يقوم باطعامه ورقاً مهروماً ، ويوضع في اعلى السقائف. وبهذه الصومة يقطع الشيح.

قواعد الفطرة الرابعة الاخيرة : الحرارة ٢٣ د. س. الاكل في اليوم الاول الى اليوم الثالث اربع او خمس مرات من ورق صحيح مفروط ، وبعد ذلك تطعم قلحوناً وورقاً ، وقعات متعددة حسب مقطوعيتها . وفي اليوم الخامس من فطرتها يلزم قشها ، وتدليلها ، وتفريقها ، ويعرف ذلك بفرقة الشيح . وفي اليوم السابع من افطارها يوضع الشيح تماماً وكالًا . وفي اليوم الثامن او التاسع توضع الشراشف البيضاء على الابواب والشبابيك المفتوحة لمنع دخول الهواء بقوة ، حذراً من تقطيع خيطان الدود. ويزاد فتح القوافع في السقف ، وتوسيعها ، وخاصة في الزوايا منعاً لحدوث التفطيس . وبعد جمع فضلات الدود « المعالف » ووضعها على حدة بثمانية ايام ، يباشر بجمع الشرانق « القطاف ». ومن يعجّل فيه قبل ثمانية ايام يُعد عمله سيئاً ، لانه يحدث اضراراً في الشرانق ، فيقع العطل على الشاري وعلى المالك وعلى المربي نفسه . ان القطاف يستوجب ثلاثة شروط . لطافة ، ونظافة ، وفطانة ، اللطافة فيجمع الشرانق عن الشيح سالمة ، والنظافة بنزع ما يلتصق بها من الشيح والجزة والقشور ؛ والفطانة بوضع كل صنف على حدة كالمواتة . والبغلية « المزدوجة » والملطخة ، والملونة ، والرقيقة ، والمفطسة.

في مدينة العذراء

زيارة مؤمن

بقلم ميشيل سليم كميد

نوطئة

فها منذ الآن تطوبني جميع الاجيال ،
لان القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس ،
ورحمته الى اجيال واجيال للذين يتقونه.

لورد ! ما احيلى هذا الاسم ! يا له وميض ينير الدياجير ، وميض دائم لا يخبو ، وميض يلمع في النفوس السقيمة في ايمانها ، فيغذيها ويقوّمها ، ويهديها ! لورد ! اي قلب لا يختلج لذكراها ، بل اي امرئ به ذرة ايمان لا تهتزّ مشاعره رهبةً وخشوعاً ! ان اسم لورد نسيم هفهاف زكي ، تكتنف هبّاته وجدان المؤمن ، فيحلق عن كون الارضيات الضيق !.. ايّ موسيقى سماوية اسم لورد الحبيب الى فؤاد الكاثوليكي ، بل اي هالة عظمة وقداسة تروع نفسه التقية !

في لورد ينشد السقماء شفاء ، ويطلب الاشقياء عزاء وتوبة ، ويجد الابرار رجاء ومحبة . ففيها الحمى والمقيل لكل فرد . لان فيها اختارت الحبل بها بلا دنس ان تُرسل على العالم فيضاً من نعم ابنها الالهي . فتشفي المرضى ، وتهدي الخطأة ، وتثبت ذوي الايمان ... آه ، لا ازال اذكر ، ولن انسى ، كيف كنت اهتزّ شوقاً وخشوعاً ، وكم كنت ازداد اضطراباً ، والقطار يعج في غياض واودية فرنسة الجميلة ، قاصداً لورد. وجميع ما فيه ايضاً واجف مراقب !...

ان مركز لورد في العالم الكاثوليكي ، يتبوأ ارفع الاكناف . وليس من كاثوليكي صادق لا يؤثر فيه الالماح اليها ، بل لا تهيج شجونه ، ولا

يغمر وجدانه تقوى ومحبة في هواها .

اردت في تجوالي في فرنسة ، العام المنصرم ، ان لا احرم زيارة الاحرام المقدسة فيها ، يدفعني لذلك امران ، اولا : ان انجز امرًا يجب على كل كاثوليكي قضاءه ، حين وجوده في تلك البلاد ، وهو قضاء فريضة الزيارة لهذه الاماكن . ثانياً : ان ابحث عن تعمق العاطفة الدينية في فرنسة ، واتبين اي نفوذ تملكه ، وهو مطلب يستهويني اكثر من كل امر عداه ... ولهذين السببين قومت نيتي على زيارة لورد بدئاً ، ثم اتلوها بلزيو (*Lisieux*) مسقط رأس القديسة الصغيرة ، تريزية الطفل يسوع . وصممت ان ابدأ زيارتي للاولى اوان الزيارة الاهلية الافرنسية ، حين يهبطها جمع غفير من كل المقاطعات ؛ من اصحاء وسقماء . فضلاً عمّا تغصّ به من وفود اخرى من البلاد الاجنبية ، من انحاء العالم قاطبة ، القادمة لحضور هذه الاحتفالات الدينية الخاشعة الباهرة .

يقع موسم الزيارة الافرنسية[1] في التاسع عشر الى الثالث والعشرين من آب كلّ عام . فتغشاه الآلاف المؤلفة من ابناء فرنسة السعيدة ، وقد صحت نيتي اذ ذاك ، على مشاركتهم ، والقيام بفرض « الزيارة اللبنانية المارونية » لسيدة لورد ، فريدًا وحيدًا .

على الطريق

شاء القدر ان اصل تولوز بعد انتصاف الليل من صباح التاسع عشر . وكان عليّ ان انتظر قطار بياريز ، القائم عند السادسة صباحاً . فجلست على حقيبتي في فناء المحطة ، والبرد يقرصني قرصاً شديدًا ، تصطكّ منه عظامي بالرغم من ثخانة ملابسي . واصوات القطارات تزعجني وتصمّني ؛ فتهجدت ليلتي رغمًا ، الى ان آن الوقت واصطفّت حافلات القطار المنشود ، فاتخذت موضعي ؛ ولم

١) هناك مواسم زيارات للشعوب الاخرى . وكلها تقع في آب ، وهي تقريباً على هذا التعديل : ايطالية من ١٠ الى ١٦ ، هولندة من ٨ الى ١٣ ، المانية من ٧ الى ١٣ ، النمسة من ١٣ الى ١٧ ، مالطة من ١٠ الى ١٤ ، ايرلندة من ١٣ الى ١٦ ، وقس على ذلك غيرها . وكلها كما ترى ملاحقة بعضها البعض . ما عدا فرنسة فلا يشاركها احد دنياً اوان زيارتها

اكد حتى غص بالركاب.

واني كذلك ابصرت بكاهن يجوس خلال الحافلات حائرًا مثقلًا بالحقائب، باحثاً عن فرصة يستقرّ فيها. فعزمت عليه وبعض رفقاء السفر ليأخذ مكاناً معنا. وما استقرّ، وحطّ متاعه الثقيل، حتى هبّ القطار من غفلته.

وتململ الفجر، واشرقت الشمس. وكلنا تعب منهوك، من متواصل السفر. فبدأنا نتثاءب ونتناعس طمعاً في قليل من الكرى، فلم نفلح. وكانت جماعتنا من شتات المبادئ. هنا رفيقنا الكاهن بالرغم من وصبه البادي عليه، يتلو كتاب فرضه، يقاربه ماسوني يحمل شارته في عروة سترته، يتصفح صحيفته الماسونية — وقد غاب عني اسمها — وآخر من حزب الاكسيون فرانسيز، كما يدلّ شغفه بجريدته. ثم احد المحررين بالايكو دي پاري، كما تبين لي من شرحه لرفيق له عن مواضيع جريدته. اما انا فكنت ساكناً قانعاً بزاويتي، امام الكاهن، وقد امضني السهاد — ولم اكن نمت الا ساعة في ليلتي بطولها — اقلب دليل الفنادق بفتور ظاهر، ولا انفكّ متفحصاً وجوه الرفقاء.

لم يطل المقام حتى اتصل بيني وبين جاري الكاهن نتف حديث متقطع عرفت اثناءه ان خورنيته بسويسرة، بالرغم من جنسيته الفرنسية، ولذا هو في طريقه الى الزيارة الاهلية. ثم استعلمني عن وجهتي. فاطلعته على مطلبي لورد ايضاً، بعد قضاء مأرب لي في بيارتز. ولست ادري متى اقفل الى مدينة العذراء، ايومي هـذا ام غدي؟ وجرنا الحديث الى الفنادق فمدح لي بوجه خاص نزلًا سينزله، وسألني ان اوافيه اليه، اذا ما انتهيت وقفلت؛ فوعدته خيرًا.

ومر القطار على لورد فتفارقنا، وانزويت وحدي في الغرفة مع الرفيق الماسوني!

في لورد

في عصر ذلك النهار، بارحت بيارتز، وهبطت لورد مساء. فقصدت حالًا النزل الذي هداني اليه الكاهن. وهناك فوجئت بازدحامه بالزوار. واني

كذلك في حيرة وبلبلة ، اذ برفيق السفر ، قد ظهر فجأة ، كأن النعمة الالهية بعثته لمساعدتي . وصاح بي « ايه يا صاح ، لقد رجعت سريعاً ! » ... وسعى فأعطيت غرفة شاغرة للغد فقط ، على شريطة اخلائها صباحاً .

محلة لورد تتناسق مع تأثيرها الديني ؛ وفرنسة باجمعها بلاد موسيقية المناظر ، كلغتها الجميلة ، لا تعقد فيها ، ولا حشو ، ولا لغو ، كل شيء سهل في مناعة ، لين في قوة ، فالبلدة غير كبيرة ، تعج بالفنادق ، غير ذات ساحات او ميادين ، شوارعها ومسالكها في ضيقة والتفاف . تكتنفها الجبال من كل ناحية ، فتملأها روعة ، وتكسوها بهاء وجلاء ، وتزيدها جلالاً في نفس الزائر . ولعمري لست ادري ، ماذا يحوط المرء من هيبة وخشوع ، وهو يشرف من مشرف عالٍ على المدينة الملهمة . بل ما هي تلك العواطف النابضة التي تأخذ عليه وجدانه ... فلله يوم نزلت بساحتها . انه سجل في حياتي لا انساه ...

في تلك الليلة ذاتها تعرفت برب النزل وعقيلته وآله . وما تبلغت عشائي ، حتى وافاني احد ابنائه ، ودعاني الى مشاهدة الطواف الليلي بالمشاعل . فلبيت دعوته مسرورًا .

طواف المشاعل

وهناك في باحة الكاتدرائية الواسعة ، التهبت آلاف المشاعل . فغدا الليل نهارًا منيرًا ، بتلك الانوار المتوقدة ... واني احدثك كيف يبدأ الطواف :

تجتمع جماهير الزوار بعد العشاء عند المغارة العجائبية ، كل يحمل شمعة . وبينما يتلون السبحة ، يشعلون الشمع . فيمتد اللهيب من واحد الى آخر ، وتنقلب الساحة الى نيران نائرة . ويبدأ الطواف ، فيتجهون نحو مسالك الساحة ، إزاء نهر الگاف (Le Gave) وهم لا ينفكون ترتيلًا وتسبيحاً ... آه ما اروعه منظرًا ، وما اتقاه مشهدًا ! ... تسير الجموع رتلًا رتلًا الى منتهى الميدان الشاسع الممتد امام الكاتدرائية . فينثنون حول الصليب البريطاني قافلين الى الباحة . وما ان يجتازوا تمثال العذراء المتوجة ، حتى يبدأوا برسم حلقات كتلويات الافاعي ... والحشد في ازدياد على الدوام بالزوار والسياح والمشاهدين .

انيرت الكاتدرائية من الخارج بآلاف المصابيح الكهربائية الشديدة السطوع ، وارسل على قمتها نور كشافي من قلعة لورد يبهرها . ويزيدك خشوعاً وروعة ، في وسط هذه المشاهد التقية ، الصليب الكبير النائر ، المطل على لورد من قمة (Pic de Jer) . فهناك على ذروتها ارتفع نحو السماء رمز التضحية والمحبة والرجاء ، مجللاً بالنور البهي الساطع ، في كبد الليل البهيم ، يشرف على البلدة التقية من اميال عدة . فانت تنظر اليه ، وتختلجك الذكرى الاليمة ، لعشرين قرن خلت ، وتسمو بك نحو جبل الجلجلة ، جبل الفداء . وتكاد تستعرض في مخيلتك ، بوضوح وجلاء ، فادينا الحبيب ، لاسمه السجود ، مصلوباً على خشبة العار ، يجود بروحه الالهية ، محطماً قيود العالم الخاطئ الشريرة ! ... ثم تسمع هذا الحشد يصرخ مرتلا : السلام ، السلام ، السلام يا مريم (Ave, Ave, Ave Maria) فتكاد نفسك تسيل أسى وندماً ، وتنتفض تقوى . وقد يغشاك نوع من الرهبة الدينية ، لا تفقه تفسيره ، ويعجزك معرفة كيانه ! ... وتشتد الاصوات المنشدة : السلام ، السلام ، السلام يا مريم ! ...

زياح القربان الاقدس

ليس من مشهد في لورد باعظم وقعاً ، واشد رهبة تنفذ في النفس ، وتتغلغل في مكامن العواطف ، فتستثير كوامنها ، وتبعث هواجدها ، من طواف القربان الاقدس ... في تلك الساعة ، حين يصرخ المرضى والمدنفون مسترحمين الحمل الفادي ، المستتر في القربانة ... ما انفذه اثراً في نفس مشاهده ! آخالك تقرني انه الاثر الوحيد ، الذي لا يمحى مشهده من الفؤاد ، مهما طال الزمن ، ووالت عليه الاعوام . فتلك الوجوه الشاحبة ، تلك الوجنات المحتقنة بالدعاء ، تلك العيون الغائرة ، تلك الاجسام المزيلة ، تلك الاعضاء الضئيلة ، تلك الافواه المتمتمة ، تلك الايدي الناحلة تعدّ حبات المسبحة ، او تنبسط نحو السماء ، او نحو القربانة ، تلك الهياكل البشرية المسجاة على المحامل ، ثم تلك التنهدات الحرى ، تلك الدموع الحزينة الراجية ، تلك الصلوات الخافتة ، تلك الطلبات الاسترحامية التقية ، المرددة من افواه هذه الكتل

البشرية المتألمة ؛ كل هاتة المشاهد الاليمة ، لا شكّ انها تاركة في اعمق اعماق فؤادك لوعة وحرقة ، لا تمحوها يد الدهر ، وان كنت كافراً جاحداً ملحداً . فلو عدم المرء الاحساس ، وانحلّ فيه الشعور ، لن يبارح لورد ، الّا وفي نفسه أثر ايّ أثر ، أثر الم وحرقة ورهبة . . .

يبدأ اجتماع الزوار ، منذ الساعة الثانية ظهراً . وتتوافد المرضى زرافات زرافات . وكلهم محمول على عربة نقّالة أو مسجّى على محمل . يقودها ، او يحمله المتطوعة ، فيؤخذون قبلًا الى غرفة حمّام صغيرة ، بالقرب من العين العجائبية . . ثم ينقلون نحو مسلكي الكاتدرائية فيصفون الواحد تلو الآخر في صفوف متتالية .

ويصطفّ الزوّار في صفين على جانبي الطريق المؤدي من المغارة الى الساحة ، يراقبون نقل المرضى ، وهم يصلون وينشدون بعض تلك الاناشيد « الوردية » ويرتقي عادةً احد الكهنة المنبر المقام على باب المغارة العجائبية ، فيعظ الجماهير الخاشعة .

ويظلّ الامر كذلك ، الى الساعة الرابعة ، والزوّار في توافد دائم واحتشاد ، فيبلغون عشرات الالوف ، ثم يبدأ الطواف القرباني ، تتقدمه صفوف من الفتيات المرتديات الاوشحة البيضاء ، باعلامهن . فالشبان ، فالرجال فبعض الضباط العسكريين والجنود ، وكذلك بعض الضباط البحريين ، وبعض البحارة ، وقد حملوا في احد الايام بارجة مصغرة ، يتلوهم الكهنة ، فالمظلة القربانية يحملها بعض كبار الضباط والمدنيين من اعضاء البرلمان أو المجمع العلمي وسواهم من عظماء البلاد ، يحوطها بعض الاساقفة . . . ويسلكون في الزياح مسلك طواف المشاعل ، والاسقف حامل المصمد[1] يبارك في كل آونة الجمع المحتشد على جانبي باحة الوردية ، في حين يصطفّ بعض الكهنة في الساحة ، كل منهم يرشد الجماعة ، ممن يواجههم ، في التراتيل والصلوات .

---

١) في كثير من الاحيان ، يحمل المصمد احد الكرادلة . وقد قام بذلك ، سيدنا قداسة البابا الحالي ، حين كان رئيس اساقفة ميلانو . اما اثناء الزيارة الافرنسية هذه ، فقد حمل المصمد ، اسقف لورد وتارب .

واذا ما اتم الاسقف الدورة بالمصمد ، وقفل حتى تمثال العذراء ، التي حبل بها بلا دنس ، ترك المظلة هناك ، وخرج الى الجانب الايسر يبارك كل بضع خطوات قصيرة ، مَن امامه من الزوار والمرضى . فيخرّ الاصحاء سجّداً خشوعاً للاله المتواضع المتجسّد في سرّ القربان . امّا المرضى الراقدون فيكتفون بتلاوة بعض الصلوات ، واسترحام السيد المسيح ، في دموع وتنهدات.

وعند ابتداء هـذه البركة ، تبطل الاناشيد ، ويقف في وسط الساحة الواسعة ، احد الكهنة ، فيتلو الطلبات ، والجمع يرددها ، ومنها:

«يا سيد اننا نعبدك . . . يا سيد اننا نؤمن بك . . . يا سيد اننا نحبك . . . انت المسيح ابن الله الحي . . . انت سيدي والهي . . . اوشعنا اوشعنا لابن داود . . . يا سيد انا نؤمن ، فزد ايماننا . . . انت القيامة والحياة . . . يا سيّد اذا اردت فانت تشفيني . . . يا يسوع الذي احببتنا كثيراً ارحمنا . . . يا يسوع يا ابن داود ارحمنا . . . يا سيد أن الذي تحبه مريض . . . يا سيد رد بصري . . . يا سيد اجعلني امشي . . . يا سيد قل كلمة واحدة فاشفى . .

يا والدة المخلص صلي لاجلنا . . . يا باب السماء صلي لاجلنا . . . يا ملجأ الخطاة صلي لاجلنا . . . يا ملجأ النصارى صلي لاجلنا . . . يا سلام المرضى صلي لاجلنا . . يا معزية الحزانى صلي لاجلنا . . . يا سيدة لورد صلي لاجلنا . . .

ايتها الطوباوية برنادت صلي لاجلنا . . . .»

وانك لتشاهدنّ جميع هذه الربوات تردّد الطلبات ، بحرارة وتقوى فائقتين ، وانك لتشعرنّ بهـا تصعد من قلوب الجميع بصدق واخلاص حقيقيين ، الى السماء تستمطر نعم الفادي الحبيب ووالدته القديسة . والكل يأملون الرحمة والجميع يرجون النعمة . والمرضى بنوع خاص يرددونها بقوة وتلهف. ولتشهدنّ ذلك عندما يعيد الكاهن الطلبات الشفائية: «يا سيد اذا اردت فانت تشفيني . . . يا سيد ان الذي تحبه مريض . . . يا سيد قل كلمة واحـدة فأشفى . . .»

وتشاهد الدموع تهطل بغزارة من عيونهم الغائرة المحملقة ، وايديهم ترتفع في ارتجاف نحو السماء ، او نحو المعرض ، وشفاههم تتمتم الطلبات ، وهناك على النقالات والمحامل تتمدد كل الامراض والعاهات ، كل الاعمـار وكل المهن . هناك تبصر الشاب والفتاة ، الشيخ والعجوز ، الصبي والصبية ، الجندي والمدني ، الكاهن والعلماني ، المالك والاجير ، الغني والفقير ، العظيم والحقير ، وجميع ما

حوته الانسانية من طبقات وتفاوتت. كلهم امامك منهكون يسترحمون عطف الرحمن ... واني اصدقك الخبر ، اني كثيرًا ما اشحت بوجهي عن هذه المناظر المؤلمة ، وكثيرًا ايضاً ما انهملت قطرات دمع من عيني ... والآن ، وانا اذكر مشاهداتي هذه ، اشعر بفؤادي يكاد ينوء بالذكرى ، بل اشعر به يكاد يثب حرقة وجوى وتحنناً على اولئك البؤساء المساكين ، الذين اختارتهم العناية الربانية الكلية الحكمة ، محملًا لآلام البشرية المتعذبة . تعالت حكمة المولى ! .

درب الآلام

« لانه احاطت بي كلاب كثيرة . جماعة الاشرار اكتنفتني . ثقبوا يديَّ ورجليَّ واحصوا كل عظامي

(مز ٢١ : ١٧-١٨)

يواجه النزل تلٌ قريب نصبت عليه مواقف درب الصليب ، فكنا نسمع صلوات وتراتيل السائرين.

وقد اسرعت في صباح اليوم التالي — بعد ان قطعت لورد طولًا وعرضاً بسيارة رفيقي ابن ربّ النزل — الى ارتقاء الهضبة ، كي لا يفوتني رتبة مراسيم الزيارة ، اذ لا ادري متى اسعد مرة اخرى بزيارة مدينة العذراء المجيدة.

ولاحدثنك عن درب الصليب هذا الذي يقوم على هضبة تسمو من ظهر الكنيسة العليا ، نصبت على دائرتها المحطات الاربع عشرة ، بشكل لطيف جميل ، على مسافات متفاوتة ، ذات اشراف بديع على البلدة.

اسرعت الخطى ، وتوقلت الارتفاعات الاولية ، على امل ان ادرك بعض الجماعات المسترشدة بكاهن . وما كدت اعتليها قليلًا حتى وجدت نصب ملك ، في يده اليسرى صليب رقمت عليه هذه الكلمات : (*In Cruce Salus*) يشير الى الطريق . يتلوه عن قليل صليب آخر ضخم عظيم ، تكتنف ملامح مصلوبه تأثرات عميقة . وذراعاه مبسوطتان نحو المدينة ، كأنه يباركها. وعلى بضع خطوات صليب آخر مرمري كبير ، مقام على مذبح ؛ هو رمز مؤلم رُفع لتخليد ذكرى اولئك الزوّار التعساء الذين قتلوا في زيارتهم بانزلاق القطار عن القضبان ؛ وقد نقشت اسماؤهم الثلاثة والثلاثون ، على القاعدة ، مع رقم

«زيارة الآلام» .

وما تلبث ان تصل الى الدرج المقدس (Scala Santa) ، المؤلف من ٢٨ قطعة من المرمر الناصع البياض — متوجة في اعلاها ، بعدة تماثيل ترمز الى السيد المسيح له المجد ، امام بيلاطس البنطي ، وحواليه بعض القواد والجنود . وهذا الدرج سلم تقليدية لتلك التي استعلاها مرتين فادينا الحبيب في اورشليم ، ودماؤه القدسية تنضح عليها . ولذلك ففي لورد يحتم على الزوار الذين يريدون تسنمها الّا يطأوها بأقدامهم . فهم يصعدون عليها جثاة على ركبهم . ومنهم من يتلو السبحة اثناء ذلك . ومنهم من يلثم الدرجات . واني لا اكتمك ان الضعف البشري تملكني حينذاك ، فعبرت عن استعلائها ، وقصدت المرحلة الاولى ، ومن هنا يبتدىء درب الصليب ؛ وكل تماثيله بالحجم الطبيعي ، تخفق عليها صورة الحياة ، فتجعلها امضى تأثيراً واوفى ذكراً . وتتألف المرحلة من جملة اشخاص ، لا يقل عددهم في كل منها عن ستة او سبعة . اما المرحلة الثانية عشرة فتتألف من اربعة عشر شخصاً ، وهي اكبر المراحل واهمها ، اذ فيها تم الفداء العظيم ، وغفرت الخطيئة ؛ وارتفع اله البشر المتجسد ، على خشبة العار ، بأمر بيلاطس الجبان .

لحقت بجماعة واتممت معهم هذه الرتبة السامية ، والكاهن يعظنا في كل مرحلة ، ويرشدنا الى سلسلة الآلام ، التي اراد الفادي الالهي ، عبورها لفداء عبيده الخطاة . . . ولطالما ابصرت ترقرق الدموع في مدامع المجتمعين ، لاسيما حين بلغنا المرحلة الاخيرة ، ووسد يسوع الجدث في المغارة . اذ افاض الاب الخطيب ، وطلب منا السجود برهة لتلاوة صلاة قصيرة .

قضيت هذه الرتبة في تأمل وتذكر ؛ فكنت ارى في هذه التماثيل صورة ناطقة حية ، للاربع عشرة مرحلة التي مر بها ربنا والهنا كالحمل الوديع ، لتتميم الفداء العظيم . . .

واكملت طوافي بالهضبة ، وهبطت من جانبها الآخر نحو المغارة العجائبية وهذه الدورة تبلغ من بدء درب الصليب الى ختامه نحواً من كيلومتر ونصف ونيف .

(لها بقية)

بمناسبة ٢٤ حزيران

عادة التنوير

في عيد القديس يوحنا المعمدان

نبذة لحضرة الخوري يوسف المشيتي المرسل البطريركي

لكل امة عادات ارثية تختلف مصادرها باختلاف آدابها وعقائدها. وتتباين الآراء في اصلها على قدر بُعد عهدها ، الّا ان يزيل هذا الاشكال تاريخها او يروي عنها تقليدها كعادة التنوير في عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول . فليس من يجهل اصلها ، وما كان من امر استرجاع الصليب من العجم . اما عادة التنوير في عيد القديس يوحنا المعمدان فلكلٍ فيها آراء لا تتعدّى حدّ التخمين .

قيل ان احد العملة على دواليب الحرير لم ينقطع عن الشغل في عيد القديس المذكور ، فاتفق ان احترق دولابه ، فدُعي اذ ذاك العيد بمحرّاق الدواليب . واخذ الناس في بعض الجهات يوقدون النار في هذا العيد تذكاراً لتلك الحادثة .

وقيل ايضاً : ان عادة التنوير في عيد القديس يوحنا وثنية الاصل ، وهو الاقرب الى الصواب . ولمّا كان الكثيرون يودّون الوقوف على حقيقة التقليد بما يخصّ هذه العادة رأيت ، بمناسبة العيد الذي تبزغ شمسه علينا في ٢٤ الجاري ان اتخذها موضوع الكلام لعلّ بها ما يُفكه خواطر القرّاء الكرام .

ان عادة ايقاد النار هي قديمة جدّاً لا يتصل بنا عهدها بالتدقيق . وكل ما نعلمه بشأنها انها وثنية الاصل ، اتخذها سدنة الهياكل من اسباب اللهو والانشراح في الاحتفالات باعيادهم . وصودف ان وقع عيد ميلاد القديس يوحنا في احد فصول السنة الذي تدخل فيه الشمس برج الاسد ، وكان هذا اليوم مهرجاناً لدى الامّة الوثنيـة تحتفل به بالطواف بالمشاعل وايقاد النـار ، فكان للعادة تأثيرها عند كل شعب وامة .

ولما كان يتعذّر على الكنيسة ابطال هذه العادة العامة ، استحسنت ان تجعل عليها مسحة مسيحية بأن تُحيلها لغاية الاحتفال بعيد ميلاد القديس يوحنا استناداً

الى نصوص الكتاب الكريم « ليس في مواليد النساء نبيّ اعظم من يوحنا » ، وفي محل آخر: « ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيماً ، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن امه .»

ولئن تعذّر علينا معرفة ما كان من شأنها في أول عمرها في العهد المسيحي، فلا يتعذر علينا معرفة تقاليد القرون الاولى وما يليها. ففي القرن الخامس، ذكرها تيودوره بجواشيه في كتابه عن ملوك فرنسة مجلد ٤: ١٣ :٣ والقديس اغوسطينوس يذكر عادة التنوير في بعض الاعياد كعادة عمومية لا يدرك عهدها.

وفي مفكرات غليوم ديران : ان التنوير في عيد القديس يوحنا كان عمومياً في وقته ، فكان الناس يطوفون في المدينة وفي ايديهم المشاعل رمزاً الى القديس يوحنا الذي كان نوراً يضيء في الظلمة وسراجاً موقداً وبشيراً بالمخلص. وفي ايامه كانوا يحرقون عظام الحيوانات في ايقادهم النار ذكراً لعظام القديس يوحنا التي احرقها اليهود في سبسطية[1].

وفي باريس عينها كان لكل رعية عادةٌ في ايقاد النار المذكورة واشهرها. العادة التي كان يتولى إيقادها الولاة في ساحة الكراف بحضرة الملك ووجوه واعيان المملكة ، واشهر تنوير يذكره لنا تاريخ هاتيك الاجيال هو تنوير سنة ١٤٣١ الذي احتفل به لويس الحادي عشر.

واما تنوير سنة ١٥٧٢ الذي تولى الاحتفال به شارل التاسع فكان في غاية الابهة والعظمة ، حضره القواد والاعيان وكل هيئات الحكومة. فنصب في وسط الساحة عمودٌ طويل يعارضه عوارض خشبية معلقٌ عليها ٥٠٠ حزمة من الاغصان و٢٠٠ حزمة من الحطب وجميعها تتركز على هشيم سريع الالتهاب ، وعلى قمة العامود برميل يحتوي على مولد قابلة الاحتراق ، ودولاب تتعلق باطرافه اسهم نارية . ويعلو الجميع كيس كبير فيه ٢٤ هراً ، وثعلب واحد ، وكان العامة يدعون هذا المشهد مشهد رقص الحيوانات.

وقد ذكر في ميزانية حكومة باريس انه قد أُعطي احد الجباة مئة قطعة

١) احدى قرى فلسطين المشهورة بكنيستها الصليبية التي حولها المسلمون الى جامع. وفيها مدافن القديس يوحنا ، واليشع ، وعوبديا النبيين.

عملة باريسية ، لتقديمه بعدة ثلاث سنوات كل ما يلزم لحفلة تنوير عيد القديس يوحنا : ١٥٣٩ من الهررة ، وثعلب واحد ، وكيس حسب العادة.

وفي سنة ١٥٩٣ حضر حفلة تنوير العيد الملك هنري الرابع مع اهل بلاطه واعيان مملكته . وممن يذكرهم التاريخ انهم حضروا حفلة ايقاد النار في عيد القديس يوحنا لويس الثالث عشر والملكة الشابة حنة دوتريش ، ولويس الرابع عشر الذي تناول طعام الافطار في المحل عينه حسب العادة.

ولم تكن باريس لتنفرد بتضحية بعض الحيوانات كما تقدم القول ، بل تعدّت هذه العادة الى غيرها من مدائن فرنسة . انما كان المحتفلون بايقاد النار المشار اليها يضعون الهررة والثعالب في اقفاص كبيرة لمشاهدتها بحال احتراقها ، لا باكياس كما كان يصنع الباريسيون.

وفي بعض البلدان كان الشعب يحتفل بنوع آخر . فكان حاكم المدينة يركز خشبة دقيقة مرتفعة تجاه المقبرة العمومية ، ويعلق برأسها ضمة من سوق النبات المعروف بالثوم ، وتجمع حواليها حزم الهشيم ، ثم يأتي خوري الرعية فيباركها اولاً ثم يلقي فيها النار ، واخيرًا تجمع سوق الثوم وتوزع على الحضور فيتخذونها بركة ويعلقونها في بيوتهم اعتقاد انها تقيهم من الوباء وضربات الصواعق.

اما في رومة فيجتمع الشعب عشية ليلة العيد حوالَيْ كنيسة القديس يوحنا لاتران الكبرى ، وبايديهم اصول البصل الزاهرة ، فيحيون تلك الليلة بالاغاني واسباب الطرب والالعاب.

اما في لبنان فعادة ايقاد النار عشية ليلة العيد محلية ، اي في بعض الاماكن ، اما عادة الخروج من المساكن للنزهة والانشراح فعادة قديمة وعمومية.

٢

من العادات ما هي حسنة ومنها ما هي سيئة . فعادة ايقاد النار احتفالاً بالعيد ليس فيها ما يشتم منه رائحة الاعتقادات الباطلة او ما يخلّ بالآداب . وقد كان خوري الرعية عينه يحتفل في بعض الاماكن بايقاد النار المذكورة ومباركتها حسب الصلوة المعدة لهذه الغاية في كتاب الطقس الروماني على التنسيق الآتي :

اولاً : يخرج الكاهن والمرتلون من الكنيسة وهم يلحنون النشيد

المعروف « Veni Creator »: «هلمَّ ايها الروح الخالق» ويذهبون توًّا الى حيث اعدوا كومة الحطب ، وبعد نهاية النشيد المذكور يتلو الكاهن بعض نوافذ فيجيبه عليها المرتلون بامثالها ، ثم يتقدم ليشعل النار ، ويبدأ المرتلون باناشيد اكرامية لصاحب العيد . وبعد نهاية الترتيل يتلو الصلاة التابعة :

« ايها الاله النور الحقيقي الذي ينير كلَّ انسان آتٍ الى العالم ، بارك هذه النار المعدَّة لاكرام صفيك القديس يوحنا الخ »[1] وبعد نهاية الصلاة يرش من الماء المبارك على النار ويرجع والمرتلين الى الكنيسة وهم يلحنون ترنيمة الشكر«Te Deum»: «اياك اللهم نمدح»وما بقي مما لم تحرقه النار يؤخذ ويحفظ في البيوت كما نحفظ نحن اغصان الزيتون وسعف النخل بعد تبريكها في احد الشعانين في بيوتنا تيمناً . اما العادات السيئة التي يشتم منها رائحة الاعتقادات الباطلة والخرافات الوثنية فهي الرقص والقفز والدوران حول النار ، كما يفعل اللبنانيون ايضاً في بعض القرى بعد ايقادهم النار عشية عيد الصليب اعتقاداً منهم بان هذه التظاهرات والحركات تطيل ايام حياتهم .

على ان بعض الجهلة لا يقفون عند هـذا الحدّ بل يوغلون في ضلالهم ، ويعتقدون كل الاعتقاد ان في النار الموقدة في ليلة عيد القديس يوحنا قوة غريبة تأتي بالخوارق والمعجزات . ومن عداد معجزاتها لديهم انها تريهم شعر خطيباتهم . وهم لذلك يدورون حولها ثلاثاً ويتناولون جُذىً منها وبعد ان يطفئونها ، يأخذونها لبيوتهم ويضعونها تحت وسائدهم عند رقادهم ؛ وفي اعتقادهم انهم سيرون شعر من ستكون رفيقة حياتهم ملصوقاً على الجذوة المذكورة عند نهوضهم ، الى غير ذلك من الخرافات والاعتقادات الباطلة التي هي من بقايا العادات الوثنية وتقاليد الامم العريقة بالهمجية[2]

وخلاصة القول ان الغربيين ، وان كانوا سبقونا في مضمار التمدن شوطاً بعيداً واخذنا نحن نجاريهم في عاداتهم واصطلاحاتهم ، لكنهم قد سبقونا ايضاً في كثير من عاداتهم المستهجنة التي يستقبحها عقلاؤهم اليوم .

1) Barbier de Montauls, *Œuvres, A. V. p. 6?.*

2) Guérin, *Les petits Bollandistes A. VII, p. 317*

مجلة المجلات

الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠ – حول نشأة المقامات

الهجرة الهندية في السنة ١٩٢٠

ما هي العلاقات بين المسلمين ومواطنيهم من الهنود في موقفهم تجاه الحكومة البريطانية ؟ تواردت الينا الاخبار متناقضة في ذلك المعنى : فقيل ان المسلمين لم ينضموا الى حزب المعارضة ، وقيل انهم اخيرًا اتفقوا على توحيد الكلمة والعمل مع الغير المسلمين . واكثرية الهنود الساحقة انما هي من الغير المسلمين ، ومنهم غاندي . ولم تعرف نيات غاندي الحقيقية نحو مواطنيه المسلمين . على ان مجلة « العالم الاسلامي » الانكليزية نشرت (ابريل ص ١٦٤) فصلا موقعًا باسم بريغس (F. S. Briggs) تحت العنوان الذي اشرنا اليه ، ذكرت فيه قصة غريبة واقعية جرت على الحدود بين الهند وافغانستان ، عربناها لقراء « المشرق » مناسبة لحوادث الهند الاخيرة .

في اوائل سنة ١٩٢٠ قامت «لجنة الخلافة» ، وغاندي هو احد مناصريها ، تحثّ المسلمين على خذل حكومة الهند « الجهنمية » التي تبسط طاعتها عليهم خلافاً لتعليم القرآن ، وعلى استيطان بلاد يكون حاكمها اميرًا مسلماً كبلاد الافغان . فلماذا تدخل غاندي في القضية وما كانت اغراضه منها ؟ هذا امر لم تكشف غوامضه بعد . وقد رأى بعض الذين رجعوا عائدين الى الهند من هجرتهم أن غاية غاندي كانت ابعاد مسلمي الهند ، على قدر المستطاع . وقد يكون الحادث قصة خيالية لولا وقوع « الهجرة » حقيقةً وموافقة غاندي للقائمين بها .

انبثّ دعاة الهجرة بين مسلمي الهند يحثّونهم على المنفى الاختياري ، ويحدثونهم عن بلاد الافغان الفاتحة ذراعيها لاستقبالهم ، وعن وعد اميرها ، المتربع على العرش بعد الحرب الافغانية الثالثة ، انه يقطعهم الاراضي الواسعة المخصبة ، وعن مساعدة الاهلين الذين سوف يمدّونهم بالزاد على طول الطريق من الحدود الى كابل . أحقيقةً كان وعد الامير او وهماً ؟ لا ادري ! ولا ادري هل بلغه خبر الحملة العتيدة . اما الشعب فمن المؤكد انه لم يعد بالزاد

الجماهير الآتية من الهند. وهب انه وعد ، فلم يكن بوسعه ان يبرّ بوعده.

واقبل الناس على الهجرة ، تلبية للدعوة . أتوا من انحاء البلاد وخاصة من السند ، ومن حدود الايالة الشمالية الغربية . فجمعوا جموعهم رجالاً ونساء في بشاور وشدوا المطايا الى كابل. فغصت القطارات بالجماهير المسافرة الى بشاور ، القاصدة الى العاصمة الافغانية . وتزاحم سكان الارياف على رصائف المحطات ليزوّدوا المهاجرين . وطارت لفظة الهجرة من فم الى فم فاستطارت لها الالباب وكثر عدد المهاجرين حتى بلغ مليونين ومئة الف على ما قيل . وان في القول لمغالاة ، لكنه ليس بعيداً جداً عن الامر الواقع.

وكان المهاجرون من المدن قليلين ، نسبةً لاهل الارياف ، حيث تحرّكت للهجرة اسرٌ برمتها ، وضيع بكفتها . فمشى من مشى وركب من ركب من عجز ومرضى ، وتحركت العجلات وراء الثيران وعلى جانبيها نساء سائرات مرضعات اطفالاً لم يتجاوز عمرهم بضعة ايام . واستحسن بعض مشايخ القرى حركة الهجرة ، اذ سُئل عنها احدهم فقال : « يا صاحبي ! ذلك احسن ما حدث لنا من زمان طويل : لقد ذهبت الهجرة بعناصر الاضطراب كلها . » انقضى اسبوعٌ على المهاجرين وهم في رحيل ، وظل قافلاتهم يتقلص او يمتد تجاه بيت كاتب هذه الاسطر.

ولكل فريق منهم عازف يعزف وينشط السير . وقد مرت احدى فرقهم الكبرى خارجة من بلاد الهند البريطانية ، وفي مقدمتها مزمرٌ يزمر على لحن الحرس البريطاني !

وكان سلوك المهاجرين حسناً محموداً الى حدّ بشاور . سافر واياهم « محرر هذه الاسطر » في قطار ملاّن وتزاحموا على ركّاباته وعلى اسطحته ، ولم يأخذ عليهم اشارةً مخلة بآداب المعاشرة . ثم دخلوا بشاور فاستنشقوا ريح الفوضى ، وما خرجوا منها حتى انقلبوا يقذفون بشتائمهم كل اوربي لاقوه . واتفق ، ان سافر « المحرر » الى ممر « خيبر » ، والى « لاندى كانتال » ، حيث اتجه المهاجرون ، فلم يجد فرقة واحدة منهم احجمت عن شتمه ورجم مركبته.

ولكن شتان بين رحلة ورحلة . كان السير الى بشاور اشبه بالسير في

نزهة ، فامسى من بعدها اشبه « بـدرب الصليب » ، وكان في آخر المتقهقرين اولئك الذين كانوا اشد تحمساً في دفع غيرهم الى الهجرة . لم يكن معهم زاد وما كان ليخطر على بالهم فكر الزاد ، وهم يتوغلون في بلاد مقفرة ، والحرّ في اواخر ايار ومستهلّ حزيران قد بلغ اشدّه ، ولا مـاء ولا طعام كاف لتلك الجماهير ، واشعـة الشمس تنعكس على الصخور الجرداء متلظيـة في الفضاء كانها اللهيب . وجدوا قليلاً من الماء في « يرود » ثم ساروا عشرة اميـال ، ووجدوا بالقرب من « مسجد علي » غديراً لم ينضب ماؤه تماماً . وكان معهم من الطعام ما ساعدهم على الوصول الى « خيبر » بنشاط . ولكن ما لبثوا ان جاعوا وعطشوا ، ولم يجتازوا مقاطعة النفوذ البريطاني في « لاندى كتال » الا والعوز والحرّ قد وسما فيهم الذبائح للمرض والموت . وتفـاقم الامر بخروج القبائـل عليهم فسلبوا ثيابهم وما كانوا يملكونه من دريهمات ادخّروها من بيع ممتلكاتهم ، وأفعموا ذلاً وعاراً . وحاول ثلاثة منهم مقاومة اللصوص ، فغلبوا على امرهم ، وكُووا في ظهورهم بالحديـد المحمى في النار . فرأى الكثيرون منهم ان الحكم البريطاني ما كان ليبلغ ذلك الحدّ من التنكيل ، فعرجوا على اعقابهم تائبين . وحدث ان الثلاثة المكويين على ظهورهم قصّوا قصتهم على من لاقوهم في طريقهم . فكان وقع كلامهم على فرق المهاجرين كوقع اشعة الشمس على كومات الثلوج ، لانـه بدّد الجموع وردّ المهاجرين على وجوههم فعادوا ، وقد انقلبت سحنتهم وتغيرت مظاهرهم . وظلّ بعضهم مصرّين على عزمهم فبلغوا كابل ، واذ الاراضي المخصبة الموعود بها انما هي «آل بلقعة وبرق خلب» . طرقوا باب الامير فاجابهم ان بين يديه بعض الاراضي البور ، فان شاؤا استعمارها فلا بأس ، ولكن ليس من غيرها . فقضاوا الرجوع الى الهند ، ولم يبقَ في كابل الا بعض السذّج الراضين بالعيش الشظف. ف . ت .

حول نشأة المقامات

ذكر الحريري في مقدمة مقاماته (طبعة بيروت ، ص: ١٢) انه تلا فيها تلو بديع الزمان الذي « ابتدع » هذا الفنّ . فاراد الدكتور زكي مبارك « إصلاح هـذا الخطأ الذي مرّت عليه قرون » فكتب مقالاً واسعاً في « مقتطف » مارس وأبريل ينكر فيه على الحريري قوله

المتقدم ، وينسب الهمذاني الى احتذاء ابن دريد في مقاماته . اما ان يهتم الاستاذ زكي مبارك باصلاح الخطأ في نشأة المقامات – ان كان هنالك خطأ – فما يشكره له كل اديب . وأما ان ينسب مصدر هذا الفنّ الى احاديث ابن دريد ، وكلنا يعرف ان هذه الاحاديث بعيدة عن فنّ المقامات ، فهو ما لم يتوفّق اليه . فضلاً عن انه لا حاجة الى اتهام ابن دريد بابداع المقامات ، ونحن نرى لها مصدرًا اقرب الى العقل في رسائل ابن فارس اللغوي المعروف المتوفى في الريّ سنة ١٠٠٥ ، والذي كان استاذ بديع الزمان . ولا عجب ان يكون التلميذ اقتبس عن استاذه هذا النسق ، ونفخ فيه من روحه ما سما به الى المقام الرفيع . وابن فارس اقرب الى البديع من ابن دريد ، ورسائله الموضوعة اقرب الى المقامات من تلك الاحاديث المروية بالاسناد .

هذا وقد ردّ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي على الاستاذ زكي مبارك ، في «مقتطف» ابريل ردًّا شديد اللهجة اشار فيه الى وجوب درس النصّ الذي استند اليه الاستاذ مبارك ، وهو كلام لصاحب زهر الآداب يصرّح فيه باحتذاء البديع لابن دريد . قال الاستاذ الرافعي (ص ٥٨٦) :

ان البحث يجب ان يكون في الاصل الذي نقل عنه صاحب زهر الآداب اذ لم يذكر هذا الخبر احد غيره وقد كان في آخر عهد بديع الزمان وكان ينقل في كتابه من الكتب وهو من القيروان وليست له رواية ولم يرحل الى العراق . فمن اين وقع له ذلك الخبر ؟ وهو لو كان صحيحاً لذكره الثعالبي في اليتيمة او في غيره من كتبه ولاستفاض في كلّ كتب التراجم .

ولم يذكر احد في اخبار ابن دريد ان له مقامات او احاديث وكتبه محصورة معروفة وقد ولد البديع بعد وفاته بنحو ثلاثين سنة ولا تكون المعارضة عادة الا للمشهور المتداول .

والاحاديث الموضوعة على الاعراب كثيرة لم ينفرد بها ابن دريد وأشهر وضّاعها ابن الكلبي ، وابن دريد ينتهي اليه في اكثر ما يرويه .

والذي يظهر لنا ان صاحب زهر الآداب سمع الخبر من بعض من رحلوا الى العراق ونقلوا عن علمائه دسّه هذا كأنه ممّا انفرد بعلمه فرواه ذلك بدون تحقيق . وهذا كان شائعاً في الاندلس والمغرب فكل من رحل الى العراق طلبوا عنده ما ليس عند غيره فان كان في عقيدته وهن أنفق من كيس لا ينتهي ما فيه ... وقد اشرنا الى ذلك في باب الرواية من تاريخ آداب العرب .

وكيف يعارض البديع اربعين حديثاً باربعمائة مقامة شرّقت وغرّبت ثم

لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا تراه منقولًا الا عن رجل من اهل القيروان لا رحلة له ولا سند ولا رواية وانما يستطرف من كل كتاب ومن كل خبر ؟

ولقد نقل الشريشي ان البديع كان يقول لاصحابه في آخر مجلسه اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة فيقترحون ما شاؤا فيملي عليهم المقامة ارتجالًا في الغرض الذي اقترحوه . قال: وغيرها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار . قلنا وهذا هو السبب في انه لم ينته الينا من المقامات الا ثمنها فيكون الباقي مما اهملوه اذ كان اشبه بالعبث من القول ولا يجري الا مجرى النادرة والحديث دون الصنعة والكتابة .

ثم يقول الاستاذ مبارك ان الدكتور طه حسين قال له ارجع الى كتاب الامالي وانظر الاحاديث التي نقلها عن الاعراب فان رأيته يروي عن ابن دريد فاعلم اذن !!! ان الاربعين حديثاً التي ذكر صاحب زهر الآداب انه اخترعها لم تكن شيئاً آخر غير هذه القصص التي حلى !!! بها القالي كتابه . قال فلما رجعت الى كتاب القالي وجدت حقًّا !!! ان القصص التي احتواها مرويّة عن ابن دريد الخ .

اذا كان ابن دريد شيخ القالي وكانت رواية القالي عنه فهل يكون كل ما يرويه عنه الّا مسندًا اليه . وهل نسيت ان الرواية علم دقيق له آداب وشروط . وان صاحب زهر الآداب يقول في احاديث ابن دريد أنه أستنبطها من ينابيع صدره يعني ألفها فهي من وضعه وليست من روايته وانه اذا كان كذلك لم يبق وجه لان يدخلها القالي في كتابه ويلبس بها على الناس ويزعمها مروية بالسند عن ابن دريد الى الاصمعي أو ابن الكلبي . ولو فعل لكان كذاباً وبطلت الثقة به وبكتابه .

هذا مضحك واذا جاز ان يقوله من لا يعرف شروط الرواية فلا يجوز ان يقع فيه من يروي بشروطها وآدابها كالقالي . وانت ترى القالي في اماليه يروي من شعر ابن دريد وينسبه اليه فما الذي يمنعه ان يفعل مثل ذلك في احاديثه التي الفها « من ينابيع صدره ومعادن فكره » ؟

شذرات

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب

الزراعة (تابع)

الفواكه

كانت نتائج محصولات الفواكه مقبولة بالاجمال . وقد بلغت في منطقة دمشق ، وهي اهم المناطق المصدرة للفواكه ، ٤٥٠,٠٠٠ قنطار من العنب ، و ٢٣٠,٠٠٠ قنطار من المشمس ، يقابلها في السنة السابقة ٤٤٨,٥٠٠ قنطار من العنب ، ٢٥٣,٠٠٠ قنطار من المشمش .

اما في الشواطئ وفي منحدرات لبنان التي تصدر في آن واحد فواكه اوربا المعتدلة وفواكه البلاد الحارة كالتمر مثلاً ، فان المحصولات كانت غير متعادلة . فبلغ ما اصدرته كروم لبنان ومساحتها ١٠,٥٠٠ هكتار ، ٣٥٠,٠٠٠ قنطار من العنب و ٢٠,٠٠٠ هكتوليتر من النبيذ . اما الليمون فقد اصابه ما اصاب سائر الاغراس من تأثير الجفاف ، ولحقه في منطقة صيدا تأثير الاهوية الحارة وضرر الحشرات الطفيلية ايضاً ، فنقص محصوله في هذه المنطقة من ٢٥ الى ٣٠ ٪ وقد تأثرت الكروم ايضاً في هذه الناحية باضرار حشرة الفيلوكسيرة . اما في ناحية طرابلس فبلغ ما أُخذ من صناديق ليمون البرتقال والليمون الحامض ٦٠٠,٠٠٠ يقابلها ٤٠٠,٠٠٠ في السنة السابقة ، مما دل على موسم حسن .

هذا والتقدم جارٍ في غرس الاشجار المثمرة والتوت . وقد بلغت اغراس الاشجار المثمرة في سنجق اسكندرونة ٧٠٠,٠٠٠ . وفي بلاد العلويين سهّلت الحكومة على المزارعين غرس ١٠٠,٠٠٠ نصبة . ونرى الامر نفسه في منطقة حلب وفي ناحية حمص ايضاً ، حتى ان المشاتل الوطنية لا تكاد تكفي لسد مطالب المزارعين . ولا شك في انه اذا دامت الحال على هذا التقدم لا يلبث ان يصبح لموارد الفواكه تأثير مهم في موازنة حكومات مناطق الانتداب .

والحق يُقال ان محصولات الفواكه ليست فقط من مرافق المعيشة الوطنية بل هي ايضاً صنف مهم من الصادرات الى الخارج ، ويزداد طلبها بالحاح في اسواق الشرق الادنى ولاسيما مصر . وقد بلغ ما أصدر في سنة ١٩٢٨ من الفواكه الخضراء ١٥,٧٩٩ طناً بلغ ثمنها ٢,٦٣٥,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية ، ومن الفواكه اليابسة والمربيات ١٠,٠٧٨ طناً.

وقد اقيم هذه السنة في انطاكية معرض للثمار المختلفة فنجح كل النجاح . واشترك فيه اكثر من ٣٥٠ مالكاً عارضين من حاصلاتهم المتنوعة.

الصناعة

الزيوت

على الرغم من جودة محصولات الزيتون في سورية الشمالية ، كان مجموع ما خرج من المكابس من الزيت سنة ١٩٢٨ اقل منه في السنة السابقة ، فلم يبلغ هذه السنة الا ٩,٥٦٩ طناً يقابلها ٩,٩٢٦ طناً في سنة ١٩٢٧ . وقد بلغ المحصول في سورية وحدها ٧٢٣٥ طناً في حين انه لم يبلغ في السنة السابقة سوى ٢٠٢٢ طناً.

على ان مبلغ الزيت المصدَّر لم يتجاوز ٤١٠ اطنان يقابلها ٣٩١١ طناً في السنة السابقة ، بسبب جودة المحصولات الزيتية في سائر المناطق حول البحر المتوسط . وقد كانت مصر ، هذه السنة ، اكثر الدول طلباً للزيت فاستوردت منه ٢٠٠ طن بقيمة ١,٦٩٣,٠٠٠ فرنك.

وقد تألف في ربيع سنة ١٩٢٩ ، تحت رعاية بنك سورية ولبنان الكبير وبالمساعدة الفنية من قبل الشركة الصناعية في افريقية الشمالية ، شركة جديدة غايتها مباشرة بناء المعامل لاستخراج الزيت من فضلات الزيتون بعد عصره ، واسمها « الشركة الصناعية في مناطق الانتداب » وقد تتسع غايتها فتتنشئ المشاريع الزراعية والاقتصادية والتجارية.

الصابون

اصدرت المصابن الوطنية الى بلدان الشرق الادنى حيث تروج بضاعتها نحو ٦١٤,٧٣٠ كيلوغراماً تبلغ قيمتها ١٠٩,٩٢٥ ليرة لبنانية سورية . وقد كان

اكثر هذه البلدان طلباً العراق وتركية .

الحرير

على الرغم مما احدثه هبوب الاهوية الضارة في الربيع على الشواطئ ، فان محصولات سنة ١٩٢٨ زادت على محصولات السنة السابقة ، فانت ببرهان جديد على التحسن المستمر منذ السنة ١٩٢٠ . وهذا في ما يلي جدول بمحصولات الشرانق :

السنة	محصولات الشرانق	
١٩٢٠	٨٠٠,٠٠٠	كيلو غرام
١٩٢٧	٣.١٨٥,٠٠٠	«
١٩٢٨	٣,٣٥٠,٠٠٠	«

وتُقسم هذه المحصولات على المناطق كما يلي :

لبنان	٢,٠٦٠,٠٠٠	كيلو غرام
بلاد العلويين	٦٣٠,٠٠٠	«
الاسكندرونة	٦٦٠,٠٠٠	«

وهنا يجب الاشارة الى ان محصولات بلاد العلويين تضاعفت منذ خمس سنوات . وان ازدياد اغراس التوت فيها مستمرّ بمعدّل ٢٠٠,٠٠٠ نصبة بالسنة .

اما قيمة بزر القزّ المستوردة الى مناطق الانتداب او المنتجة فيها والمهيأة للتفقيص في سنة ١٩٢٩ ، فتبلغ نحو ١٢٤,٠٠٠ اوقية يقابلها ١٢٥,٧٨٦ اوقية في سنة ١٩٢٧ . اما مصادر هذه البزور فمختلفة منها ٩٥,٧٠٥ اوقيات من المعامل الفرنساوية ، و ٢٢,٠٣٤ اوقية من المعامل اليونانية ، و ٧٤٠ اوقية من المعامل الايطالية .

اما عدد الكراخين التي اشتغلت بترتيب معتاد فقد بلغ هذه السنة ٨٥ . ويمكن القول ان آلات الحلالة وادوات المعامل تحسن شيئاً فشيئاً .

صناعة النسج

تُقدَّر المنسوجات في منطقة حلب بـ ٥٠,٠٠٠ قطعة من المنسوجات القطنية ، و ٤٣.٧٠٠ قطعة من الاطلس او الحرير ، و ١٠٤,٥٠٠ قطعة من حرير وقطن مشترك .

اما معامل دمشق فبلغ ما نسجته ١٢٠,٥٠٠ قطعة قطنيـة ، و ٧٠,٠٠٠ قطعة من الاطلس او الحرير ، و ٧٠,٠٠٠ قطعة من حرير وقطن مشترك.

ومن المفيـد ذكره ادخال الآلات العصرية في معـامل النسج ، وزيادة المحركات الكهربائية في معامل الحلالة ، من ذلك ان في دمشق ٣٥ آلة نسيج من ماركة ديدريش . وان القيام بتوزيع القوة الكهربائية يدفع الى الامل انه لا تمضي سنون قليـلة حتى تكثر آلات النسيج المحركة بالكهرباء فيمكن استعمالها حتى في المعامل العائلية الكثيرة في سورية.

الجلود

بلغت محصولات الجلود ٢٨٠,٠٠٠ من جلود الكباش ، و ٢٢٠,٠٠٠ من جلود الماعز و ٢٢١,٥٠٠ من جلود الحملان ، و ١٤,٥٢٠ من جلود الابقـار و ٣٦,٢٢١ من مختلف الجلود . تبلغ قيمة كل ذلك ١,٠٣٤,٢٩١ ليرة لبنانية سورية ، ووزنه ١,٥٦٦ طناً.

وكانت حلب ولا تزال اهم مركز لبيع وشراء هـذا الصنف فهي تمثـل وحدها ٨٠٪ من مجمل الحركة العامة.

وقد اصدرت مرافئ سورية ولبنـان هـذه السنة ١٢٦٩ طناً من الجلود غير المدبوغة يقابلها ٨٧١ في سنـة ١٩٢٧ ، و ٨٩٩ طناً من الجلود المـدبوغة بصوفها .

مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر

أتانا من حضرة المستشرق كرامرز ، سكرتير لجنة عقد المؤتمر الدولي الثامن عشر للمستشرقين ، في ليدن ، نشرة اولى يقول فيها انه طبقاً للقرار المتخذ في اول ايلول ١٩٢٨ ، في آخر جلسة للمؤتمر السابع عشر المعقود في اكسفرد ، سيجتمع مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن عشر في هولاندة . وقد تأسست لجنة غايتها تهيئة المعدات اللازمة لذلك ، وقررت قراراً ستؤكده في ما بعد ، مفاده ان المؤتمر المذكور سيُعقد في ليدن من ٧ الى ١٢ ايلول ١٩٣١ .

ازمة الورود

لكل الاحوال في ايامنا ازمات تعترض سيرها من حين الى آخر فتهلع لها قلوب اربابها . فهناك الازمات السياسية ، والتجارية ، والزراعية ومن هذه الاخيرة أزمة الورود التي اشير اليها في شهر ايار الفائت وهو شهر الورود . وما هذه الازمة الّا عرقلة حصلت في اعمال بذر الورود المختلفة ، وغرس فسائلها ، وتنويعها والاهتمام بها في مغارس ليون العظيمة . وسبب ذلك قلة اليد العاملة وانصراف العمال شيئاً فشيئاً عن هذه الصناعة . وهو أمر شكت منه غرفة تجارة ليون في نشرتها الاخيرة لما يلحق من النقص في دخل تلك المدينة المشهورة بورودها في جميع انحاء اوربة واميركة حتى اصبحت طلبات اغراس الورد تتراكم بعشرات الالوف على المزارعين فلا يمكنهم تلبيتها جميعاً ، وقد اشارت النشرة المذكورة الى ان مدينة ليون تصدر سنوياً نحو مليون وسبعين الف غرسة ورد ، تبلغ قيمتها نحو خمسة ملايين فرنك . منّ الله بانفراج تلك الازمة وغيرها من الازمات !

لضعف الاسناد !

اجتمع محدّث ونصراني في سفينة . فاخرج النصراني زكرة من خمر كانت معه ، وصبّ منها في كأس ، وشرب . ثم صبّ ثانياً وعرض على المحدّث ، فتناوله من غير فكرة ولا مبالاة . فقال النصراني : « جعلت فداك ، انها خمرة ! » فقال : « من اين علمت ذلك ؟ » قال : « اشتراها غلامي من يهودي . » فشربها المحدّث سريعاً ، وقال للنصراني : « ما رأيت احمق منك ! نحن اصحاب الحديث نتكلّم في مثل سفيان بن عُيَينة ويزيد بن هارون ، افنصدّق نصرانيا عن غلامه عن يهودي ؟ ... والله ما شربتها الّا لضعف الاسناد ! »

(حلبة الكميت)

مطبوعات شرقية جديدة

Julio Cejador Y. Franca : Alphabet et inscriptions ibériques. *I. Généralités. Epoque du renne pyrénéen.* XVI - 159 *pp.; II. L'Alphabet ibérique et les inscriptions néolithiques*, 143 *pp. in-12, ill. Trad. du* **Dr J. Brouta.** *Paris, Paul Cattin*, 1929.

الابجديات والرقم الايبيرية

انّا نشعر بأسف شديد لدى مطالعتنا هذين الكتابين لاحد اساتذة جامعة مدريد ، المتوفى سنة ١٩٢٧ . ولكن اسفنا يشتدّ ايضاً ، اذا فكرنا بان هذا الاثر للمؤلف الاحمق وجد من يترجمه الى اللغة الفرنسوية ، ويدين بكل نظريات المؤلف متوسعاً ببعضها.

امّا ملخّص تلك الادّعاءات فهو ان المؤلف يزعم بقدرته على حلّ معمّيات الخط الايبيري ، او الاسباني القديم ، الذي لا يزال مغلقاً على علماء الآثار ؛ يدّعي حلّ ذلك ، بالاستناد الى لغة بلاد الباسك الحالية التي لم تتطوّر ، في زعمه ، منذ عهدها الاعرق في القِدَم . وهو يدعي ان الابجدية تلك اللغة ترقى الى اقدم عصور البشرية ، وعنها تولّدت الابجديات القديمة ليس فقط الفنيقية واليونانية ، بل الشومرية ايضاً (كذا) ، فتفرّعت عنها المقاطع المسمارية . فيكون ان تلك الابجدية اقدم من كل ما نعرفه من آثار المدنيات !

أوَ لا يكفي عرض هذا الكلام للحكم على المؤلف بالجنون ؟ وقد شعر هو نفسه بجنونه حتى قال : « لنفرض ان طريقتي وهم لا حقيقة له ، فانا ارغب ان تعرفوا الشجرة من اثمارها ! والحال ان جميع من اهتمّ بالرقم الايبيرية من العلماء لم يتمكنوا من ترجمة كلمة واحدة من تلك النصوص ، حتى المنقوش منها على النقود . اما انا فبواسطة الجديتي الاولية وبواسطة لغتي الباسكية التي لا تقصر اولية عن ابجديتها ، اتمكن دون عناء من ترجمة جميع النصوص المعروفة ليس الايبيرية فحسب ، بل الاقريطشية ، والحثّية حتى نصوص غلوزل .» ونحن يكفينا ذكر بعض هذه الترجمات ، للبرهان على جنون المؤلف.

فقد قرأ على احدى قطع النقود : « ينبوع الحليب غير الناضب » وعلى قطعة اخرى : « لي فم » وعلى غيرها : « عندي عدس ناضج » . ودونكم اعجب من ذلك . فقد قرأ بعض الحروف المنقوشة على مسلّة تظهر عليها حربة ، وترجمها بقوله : « برغشة العنب التافه » ! والاعجب ان في الناس من يهتم بهذه الحماقات ويترجمها !

واني اتبسّط في الكلام عن جنون المؤلف ، لاني عرفته هنا ، في بيروت، مدة سنتين متواليتين ، اذ كان اراد الدخول في رهبتنا ، فأرسل الى هنا ليدرس اللغات الشرقية . فتراءى له ، من ذاك الحين ، أن يفتش عن لغة البشرية الاولى ، وعكف على درس العربية والعبرانية والسريانية ، والصينية واليابانية وغيرها ... وكان يطلعني على بعض نتائج لابحاثه فأراها بعيدة كل البعد عن الصواب . وكان ، في حياته ايضاً ، بعيداً عن كل نظام ، يحبس نفسه في غرفته طويلاً ، ويدخّن دائماً ، ويقضي القسم الاوفر من لياليه في العمل ، حتى ترك الصلاة ، وترك دروسه اللاهوتية التي كان قد طلب ان يبدأها هنا ، فرسب في امتحانه الاول رسوباً مخجلاً . فانتقل من ثمّ الى اسبانية حيث رسب مرة ثانية ، فترك الرهبنة وعاش في العالم لا يعتقد بشيء . فلو عرف الدكتور بروتا ما عرفناه عن اضطراب دماغ المؤلف ، لأعرض عن نظريته في اصل الكلام ، ولربأ بنفسه ان يترجم أثر رجل مجنون. س . ر .

Kortleitner (F.-X.), *ord. Praem.* De Antiquis Arabiae incolis eorumque cum religione Mosaica rationibus. [*Commentat. bibl. III*] *Oeniponte. Rauch* 1930. 118 *pp.* 8°

سكان جزيرة العرب الاقدمون وعلاقتهم بالديانة الموسوية

عديدة هي المجلّدات التي نشرها المؤلّف ، باللغة اللاتينية ، في الديانات القديمة ومقابلتها بالديانة الموسوية ، وفي العاديّات وعلاقتها بشروح الكتب المقدسة ؛ وغايته ، قبل كل شيء ، ان يفيد طلّاب المدارس الاكليريكية العالية . وقد نال هذه الغاية الحميدة ، فادّى لهم خدمات جليلة . وكلّ كتبه ترتقي شيئاً فشيئاً مع تقدّمه في السنّ فتزداد المعلومات فيها ، ويتحسن مظهر

تأليفها . وكان آخرها المجلد المذكور الذي يهمّ خاصةً قرّاءنا الشرقيين ، لانه يبحث في احوال العرب الاقدمين كما تظهرهم لنا الآثار البنائية والرقم القديمة المكتشفة منذ ستين سنة . وهو موضوع على متكلمي اللغة العربية من أهل الشرق ان يكونوا السابقين الى درسه ، ولكن الكثيرين منهم يجهلونه كل الجهل ، لسوء الحظ . اما الكتاب فيُقسم الى قسمين : يذكر في القسم الاول كل ما نعرفه عن جزيرة العرب القديمة : المصادر الدينية والمدنية ، اقسام البلاد القديمة ، اصل سكانها ، الابحاث العصرية ، الممالك المختلفة التي اقتسمتها . وفي القسم الثاني يعرض المؤلف للعلاقات بين العرب الاقدمين والديانة الموسوية ، فيتكلم عن : هل كانت شرائع موسى مكتوبة في البدء بلهجة من لهجات العرب ؟ هل من علاقة بين تلك الشرائع الدينية وبين نظام العرب العريق في القدم؟ هل اقتدى موسى ، في انشائه رتبة الكهنوت ، بكهنوت مملكة العرب القديمة ؟ الى غير ذلك من الابحاث المهمّة التي تنتهي كلها بمآخذ وافرة تفيد من يشاء التعمّق في الموضوع . فهل بين علماء شرقنا العزيز من يستغويه تعريب هذا الكتاب ، ولاسيما القسم الاول منه ؟ س . ز .

Thorbecke (F) : Afrika. Erster Teil : Allgemeine übersicht. [*Jedermanns Bücherei*] *Breslau. F. Hirt*, 1929. 3, 50 *Mark*

افريقية - القسم الاول : نظرة شاملة

هو مجلّد اول يختصّ بنظرة عامة شاملة على بلاد افريقية فيفيد بما فيه من الخارطات والرسوم العديدة البالغة الستين ، وبما يحتويه من المعلومات العامّة عن جغرافية البلاد الطبيعية والاقتصادية ، وعن السكان وحركاتهم . كل ذلك يستند الى وثائق دقيقة مصيبة فيزداد قيمة .

R. Grousset : Les civilisations de l'Orient. t. II. L'Inde. *Paris, Editions Crès et C^ie^*, 1930

مدنيات الشرق : الهند

تكلمنا سابقاً (مشرق هذه السنة ص ١٤٩) عن المجلّد الاول من هذا الكتاب الخاصّ بمدنيات الشرق . وها ان المجلّد الثاني يوافينا متضمناً درس

بلاد الهند من حيث آثارها وفنونها وسائر مظاهر مدنيتها الفنية حاملاً الفوائد العديدة السهلة المأخذ في الموضوع . وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام: الهند البوذية والهند البرهمية ، الهند الخارجية اي فنّ جزيرة جاوى وفنّ الهند الصينية ، ثم الهند الاسلامية وسيتبع المؤلف هذا الكتاب بمجلد ثالث يتضمن درس مدنية الصين وما جاورها. ج. ل.

Philip. K. Hitti : The origins of the Druze people and religion, with extracts from their sacred writings. [*Columbia University Oriental Studies vol XXVIII*] *New York*, 1928. *Prix: dollars* 2.00

اصول الشعب الدرزي وديانته

هو عمل مفيد يلخص كل ما يُعرف عن الدروز منذ تأليف العلّامة دي‌ساسي. وقد جمع المؤلف عدة اقوال عن عبادة العجل ، ولكن ليس فيها ما يؤيد حقيقة هذه العبادة عند الدروز . هذا والمؤلف يميل الى الاعتقاد ان الدروز من اصل فارسي . على اننا نرى ان العنصر السائد فيهم انما هو العنصر العربي . وهذا لا يمنع كون بعض أسرهم الشهيرة تمتّ الى اصل كردي او بربري. ه.ل.

J. G. Prod'homme : Voltaire raconté par ceux qui l'ont vu. *Paris, Stock,* 1929. *XVI* - 288 *pp. Prix* : 24 *f*.

ڤولتير كما صوّره من رأوه

مجموعة تذكارات ورسائل ووثائق مختلفة نُشرت مع بعض الملاحظات الادبية والتاريخية ، وقُدمت عليها توطئة بقلم السيد ادوار هريو بالغ فيها في تعظيم ذاك العصر السعيد في عرفه . ومهما يكن من الامر فان الكتاب مفيد بما جمعه من المعلومات عن ڤولتير ، من مراسلاته مع السيدة دي شاتلي (M^{me} du Chatelet) ، ومع فريدريك الثاني ، الى اقامته في جنيڤ ، فاظهر ذاك الرجل في حياته اليومية ، او كما يُقال « في مباذله » ، قبل ان يخذه بعضهم بذاك الطلاء الخارجي الغرّار. وانها لفكرةٌ حسنة فكرة القيام بهذا النوع الادبي الذي يدلّ على قيمة الرجل بشهادة معاصريه . وقد ظهر في المجموعة نفسها حتى لآن ثلاثة مجلدات ، عدا الحاضر ، عن بيتهوفن ، وموزار ، وشوبرت. ج. ل.

R. P. Antony Philippe : Au cœur de l'Afrique. Ouganda. Un demi-siècle d'apostolat du centre africain 1878-1928. *in-8°*, 191*pp.*, 33 *illustr. hors-texte*, 3 *cartes. Prix :* 20 *fs. Paris, Dillen et Cie.*

في قلب افريقية

من المعلوم ان الكردينال لافيجري كان اطلق ابناءه الروحيين الى قلب افريقية ، الى بلاد اوغاندا ، فأسسوا فيها رسالةً لم تلبث ان ازدهرت ازدهاراً جميلًا . ولم تكن مرّت عشر سنوات على دخول الآباء البيض اليها ، حتى اعطت تلك النواة المسيحية عدّة شهداء من العبيد ماتوا في سبيل المسيح ، فطوّبوا سنة ١٩٢٠ . فذكر المؤلّف تاريخ تلك الرسالة باسلوب موجز واضح ، شائق المظهر من حيث الورق والطبع والتصوير ايضاً . ج . ل .

Commandant Noël Maestracci : La Syrie contemporaine. Ce qu'il faut savoir sur les territoires placés sous mandat français. *in-8°*, 228 *pp.* 3 *pl. hors-texte. Prix :* 16 *fs . Paris, Charles-Lavauzelle et Cie* . 1930.

سورية المعاصرة

رأى مؤلّف هذا الكتاب رأياً حسناً بجمعه اهم المعلومات التاريخية ، والجغرافية ، والجنسية ، والادارية عن البلاد السورية . ولكن مما يؤسف له انه لم ينتبه في بعض مواضيعه للتدقيق اللازم ، ولم يستقِ دائماً من المصادر الوثيقة ، فسقط في هفوات منها انه ينسب سيف الدولة الى السلاجقة (ص ٤٨) ويدعو باسم دوران (Durand) الاثري الذي تولى حفريات جبيل ، وهو السيد دونان (Dunand) (ص ١٧٦) ويخلط بين الاسماعيلية والنصيرية (ص ٢٠٤) الخ . ه . ل .

Robert de Beauplan : Où va la Syrie ? *in-16*, 20 *illustr. et* 1 *carte. Prix :* 12 *fs. Paris, Jules Tallandier.*

مصير سورية

كتاب معتدل اللهجة ، متوسط من حيث الدقة في المعلومات ، كافٍ للفرنسويين الذين كتب لهم المؤلّف . وقد ظهر في مجموعة غايتها درس المسائل التي تهمّ الجمهور في الوقت الحاضر « كمصير انكلترة » وغير ذلك .

فعلى سورية ان تبتهج اذًا بان ترى لنفسها محلًا الى جنب الدول الكبرى . على ان هذه المسائل تظل دون جواب ، او حل نهائي ، في اكثر الاحيان . وهكذا فالتاريخ يخبرنا ان سورية ظلت عائشة بعد اضمحلال كل الشعوب التي احتلتها. فعلى المتدَّبين اذًا ان يهتموا باسباب المسؤولية اكثر من اهتمام المنتدَب عليهم. يشهد بهذا الامر اكثر الكتب الفرنسوية التي تظهر في الموضوع . ومؤلفوها انما يبحثون ويكتبون في سبيل مواطنيهم . على ان كتبهم واحكامهم تفيدنا في المستقبل كشواهد على الحالة الحاضرة اليوم . ج . ل .

M. Honoré : Vers Bagdad. *in*-16, 212 *pp*. 8 *planches hors-texte. Paris, Editions Pierre Roger*, 1929.

نحو بغداد

سفرة سريعة قام بها المؤلف ، فاسرع ايضاً في مشاهدة كل ما مرَّ به من اوربة الوسطى الى حلب ، فالى بغداد ، ثم في رجوعه مارًا بتدمر فحلب . على ان اسلوبه حيٌ موجَز .

H. Malcovati : *Caesaris Augusti imperatoris operum fragmenta.* [*Corpus scriptorum latinor. paravianum* N° 38] *Turin. Paravia. et Cie.* 1928. *Prix : L.* 22.

بعض آثار للامبراطور اوغسطوس قيصر

هي طبعة ثانية استفاد فيها الطابع من الرُقم المكتشفة في كيرينية ، وفي انطاكية بيسيدية . وقد ختم الكتاب بجدول تعدي ذكر فيه الروايات المختلفة والمعلومات اللازمة للافادة .

مفصَّل جغرافية العراق

لمؤلفه طه الهاشمي

مطبعة دار السلام في بغداد ١٩٣٠ ، قطع ٨ كبير ، ص ٥٦٤

الفريق طه الهاشمي هو رئيس اركان الجيش العراقي ، واحد القائمين بالنهضة العلمية في ما بين النهرين . أدَّت به وظيفته الى التجول في انحاء العراق ، وعُهد اليه بتدريس جغرافية تلك البلاد العسكرية فاستنبط من تعلياته الشخصية ومن مطالعة التآليف الافرنجية والتقارير العسكرية التركية موادَّ تعليمه في

المدرسة العسكرية . وهذا الكتاب انما هو ثمرة تلك المتاعب المحمودة . يجد فيه القارئ درساً واسعاً في جغرافية العراق الطبيعية من جبال وانهار وغابات ومستنقعات وطرق ووديان ومسالك ومضايق ؛ ويقف به على حالة تلك البلاد الاقليمية من حرارة ورطوبة وغيوم وامطار ورياح وزوابع ؛ ويلم بخلاصة ما يُعرف عن حدود بلاد العراق السياسية والطبيعية ، وعن علاقاتها بجيرانها ، وعن مرافقها الاقتصادية ، من مشاريع المواصلات بالطرق والخطوط الحديدية والملاحة ، ومشاريع الريّ ، والتنقيب على الآثار . وان الكتاب غزير المادّة ، مكتظ بالتعليقات والفوائد العلمية والتاريخية والاجتماعية ، مشفوع بخارطات عديدة بعضها مرسوم بالوان مشكلة على غاية الاتقان . وان ما كتبه المؤلف (ص ١٠١ وما بعده) عن تاريخ المذاهب المسيحية لمعرفة الاسباب التي جعلت نصارى العراق يتبعون ثلاثة مذاهب دالّ على انه متروٍّ في مباحثه ، مستقٍ تعليماته عن تمحيص وذكاء . فنحن نشكر له هديته ، ونتمنى للكتاب ان ينفد بين يدي الناس فتجدّد طبعته وهو سالم من كل خطأ مطبعي يحول دون ارتياح البال لفهمه .

ف . ت .

القاموس العصري انكليزي - عربي

تأليف الياس انطون الياس

الطبعة الثالثة منقحة مكبرة — المطبعة العصرية بمصر

Elias' Modern Dictionary, English-Arabic by Elias A. Elias.

هو مجلد ضخم يحوي زهاء ٦٠٠٠٠ كلمة في اكثر من سبع مئة صفحة من القطع المثمن ، صدّره صاحبه بمقدمة ذكر فيها منزلة القواميس من علم اللغات عموماً ومن اللغة الانكليزية واستعمالها بالشرق خصوصاً ، ودلّ على غرضه من وضع الكتاب وقد توخى به تلامذة المدارس المصرية ، وشرح مصطلحاته وفيه تمييز الالفاظ بمعانيها وصيغها مع تعريبها باللغة الفصحى والعامية المصرية . واعتمد على حكم فانديك وشرل بيكوك والمنفلوطي وغيرهم من ائمة اللغتين في مصر وعلى احكام مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي للبتّ في امر

الالفاظ التي يتناقش بشأنها المعرّبون . اما شكل الحرف وحجم القاموس فهما على مزاياهما ، المعهودة في مطبوعات المطبعة العصرية من رونق وجلاء ، ليسا على ما يرام من الخفة والرقة المرغوبة للمعاجم فيستطيع صاحبها ان يحملها معه اينما توجّه . على ان المجلد جميل الطلعة جدير بان يزين المكاتب ف. ت.

الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية

تأليف الخوراسقف بطرس حبيقة

المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٠

يبحث الكتاب في عقيدة الكنيسة السريانية المارونية في سرّ الأوخارستيا العظيم ، فيثبتها ببراهين مأخوذة من صلوات الكنيسة وطقوسها ، ومن اقوال مار افرام ومار يعقوب النصيبيني ، والعلامة السروجي ، ومار يعقوب الرهاوي. ومن شهادات الآباء في الشرق وفي افريقية ، « في البلاد التي يلتئم فيها المجمع القرباني الدولي » (ص ٥) والكتاب باللغتين العربية والافرنسية.

كتاب اقشاع الغيوم القاتمة المحاول اخفاء الشمس الساطعة

للاب ارمند اودين اليارامي — عني بتصحيحه وطبعه القس اسطفان فرحات الراهب اللبناني

هو كراس باربعين صفحة بُسط فيه التعليم الكاثوليكي على الرئاسة البطرسية ، وانبثاق الروح القدس ، والمطهر ، والغفرانات ، وتقديس الفطير ، والتناول بالشكل الواحد ، والطلاق ، واتخذ المؤلف الاسلوب الجدلي في كتابه. ويكون قد ادرك مرامه باقرب طريقة لو اقتصر على عرض العقائد المذكورة بالايضاح ، وما ان تسطع الشمس الّا وتنقشع الغيوم. ف. ت.

* برنامج الجمعية الخيرية المارونية تحت حماية سيدة مونليجون ، بحلب * خلاصة وارداتها ونفقاتها لسنتي ١٩٢٨ — ١٩٢٩ — المطبعة المارونية حلب ١٩٣٠.

* تقويم جمعية اخوة التعليم المسيحي الكاثوليكية المؤسسة بحلب عام ١٨٩١ بادارة الآباء الفرنسيين الافاضل * عن سنتي ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، وهي السنة التاسعة والثلاثون لتأسيسها .